الفصل

١

الأول

الغـــزو الفكرى

مصطلح الغزو الفكرى

بداية نقف عند مصطلح «الغزو الفكرى» الذى يتردد فى هذا العصر كثيراً على ألسنة الباحثين، والكاتبين، والمتحدثين، وإن وقفة استقرائية، تكشف فى وضوح: أن هذا المصطلح، لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجرى «القرن العشرين الميلادى».

ولكن ليس معنى عدم وجود المصطلح، أو عدم استخدام المصطلح، قبل القرن الرابع عشر الهجرى، أن معنى الغزو الفكرى، ومفهومه، وموضوعه، لم يكن موجوداً، لأن المستقرىء لأحوال الأمم والشعوب، يجد أن مفهوم الغزو الفكرى، كان موجوداً فى القديم، وفى الحديث.

وكلمة: «الغزو» فى اللغة العربية تعطى معنى: القصد، والطلب، والسير إلى قتال الأعداء، فى ديارهم، وانتهابهم، وقهرهم، والتغلب عليهم.

ومصطلح الغزو الفكرى، قصد به: «إغارة الأعداء على أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها ومقوماتها. وانتهاب كل ما تملك»[1].

والفرق بين «الغزو الفكرى»، و«الغزو العسكرى»: أن الغزو العسكرى يأتى للقهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة، أما الغزو الفكرى فهو لتصفية العقول، والأفهام لتكون تابعة للغازى[2].

وقد يكون الغزو الفكرى أشد وأقسى، لأن الأمة المهزومة فكرياً، تسير إلى غازيها، عن طواعية، وإلى جزارها عن رضا، واقتناع، وحب، لا تحاول التمرد أو الخلاص.

---

(١) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٠، ط دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٨هـ، القاهرة.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨٠، بتصرف.

وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة، حيث أن كلمة الغزو استعملت فى معناها، وهى الإغارة على أمة من الأمم للاعتداء عليها، وانتهابها، ولكن عن طريق الفكر وتدمير القوى المفكرة فيها، وهذا ما لفتت إليه كلمة: الفكر، التى تطابق معناها فى العربية، معناها فى المصطلح[1]..

ويمكن أن يقال أيضاً: إن المصطلح استعار كلمة «الغزو» للفكر، لما بينها وبين الغزو فى الحرب من علاقة، فى نهب الشعوب، وتدميرها، والسيطرة عليها. ويمكن أن يقال أيضاً: إن مصطلح «الغزو» مجاز على التشبيه بالحرب الفعلية، فى التدمير، والتخريب، والانتهاب، والسيطرة على الشعوب.. ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح، وأضرابه من المصطلحات، التى تدل على هذا المعنى، وتسير فى فلكه[2]..

ومما يسترعى الانتباه، أن بعض العلماء والباحثين: ينكرون ويستنكرون وجود «الغزو الفكرى». معتبرين الحديث عنه مجرد «وهم» من الأوهام.

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم، باعتباره رغم الحدود الدولية السياسية، والحواجز الجغرافية، وبسبب من التقدم الهائل فى ثمرات «ثورة الاتصال» ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم باعتباره «وطناً واحداً» لحضارة واحدة، يسمونها: «حضارة العصر» أو «الحضارة العالمية» أو «الحضارة الإنسانية» ويتصورون الأمم، والشعوب، والقوميات، مجرد درجات ومستويات فى البناء الواحد، لهذه الحضارة الواحدة.

ومن ثم فليس فى هذا التصور حدود ـ لها حرمة الحدود ـ تميز «أوطاناً» متعددة، لحضارات متميزة.. ولهذا فإن عبور الفكر ـ كل الفكر ـ للحدود ليس فيه عندهم شبهة «غزو» ولا أثر «عدوان»[3].

وهذا التصور يُروَّجُ له بشتى الأساليب، فثمة دعوة إلى «فكر عالمى» وهناك دعوة إلى أن الحضارة الحديثة «حضارة عالمية» وهناك دعوة إلى «ثقافة عالمية».

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٦٨١ مع تصرف وإضافة.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٦٨١ مع تصرف يسير.

(٣) الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ص ٦، ط. الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، ١٩٨٨.

فحركة «البهائية» التى نشأت سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسى، واليهودية العالمية، والاستعمار الإنجليزى، تزعم أنها ءت بدين عالمى جمع: البوذية، والبرهمية، والزرادشتية، والمانوية، والمزدكية، والفرق الباطنية، واليهودية، والنصرانية، والدهرية. وهذه الدعوة تجد رواجاً[١].

وهناك علماء ومفكرون، ينكرن أن يكون عالم اليوم، وطناً حضارياً واحداً. لحضارة عالمية واحدة.. وهؤ ء ا ء يَدْعُون إلى ضرورة احترام «الحدود الحضارية».. لأن العالم فى تصورهم: هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمى لحضارات متميزة» تشترك أممها فى عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو «مشترك حضارى عام».. وأيضاً، فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً.. الأمر الذى ينفى الوحدة الحضارية، ويستدعى الحفاظ على «الهويات» الحضارية المتميزة.. لا لمجرد، الحفاظ عليها ـ رغم أهميته ـ إنما لأسباب وطنية، وقومية، وعقيدية، تلعب دورها فى إنهاض أمم كثيرة، من كبوتها وتراجعها، لما لهذه الخصوصيات، من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم، بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، فى معركة الإبداع.. ولما للتعددية من دور فى إثراء مصادر العطاء العالمى[٢].

وهؤلاء العلماء الذين ينكرون أن عالم اليوم وطناً حضارياً واحداً، لحضارة عالمية واحدة، يذهبون إلى أن التعددية الحضارية، تكشف وتعرى، روح الهيمنة، والعدوان، والاستعلاء، التى تخفيها الحضارة المتغلبة، على عالمنا المعاصر. وهى الحضارة الغربية، تحت ستار: «وحدانيتها.. وعالميتها.. وإنسانيتها».

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال، فى إذكاء روح المقاومة، عند الأمم المستضعفة حضارياً، ضد السمات والقسمات التى مثلت وتمثل «مأزق الحضارة الغربية» الذى يمسك اليوم بخناق إنسانها، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بنى الإنسان؟[٣].

---

(١) انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامى، والموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٦٤، ط الرياض، ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ٧ بتصرف.

(٣) المصدر السابق، ص٧.

هؤلاء العلماء يعترفون بوجود: «الغزو الفكرى»، وينبهون على مخاطره التى تعددت، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية..

وهؤلاء ا ء: يرفضون دعوى «الوطن الحضارى الواحد لعالمنا المعاصر» ودعوى «الحضارة العالمية الواحدة» لهذا الوطن الواحد، ويقدمون بديلاً لها: دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمى لحضارات متميزة» وأن الأمم المستضعفة حضارياً، لا بد لها من النضال الحضارى، ضد نزعة التفرد، والهيمنة، التى تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة ـ بالاستعمار القديم والجديد ـ على غيرها من الحضارات.. فالتعددية لا الواحدية، هى الحقيقة الممثلة للواقع الحضارى، فى الواقع الذى نعيش عليه. ومن ثم فإن هناك حالات لتعدى «الحدود الحضارية». تمثل «غزواً فكرياً» لا شك فيه[1].

وهذا التصور يؤيده واقع حياة الشعوب، فالذين يعايشون حياة الشعوب، والأمم ذات الحضارات الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق،.. أو يغوصون فى تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها.. يدركون أن عالمنا به ـ حقاً ـ أمم متعددة، تتميز كل منها بشخصيتها القومية والحضارية المتميزة.

وإننا إذا نظرنا فى مذاهب هذه الأمم وأعرافها، وفى معايير الحلال والحرام، والمشروع والممنوع لدى أبنائها، وفى موازين الأذواق والحاسة الجمالية، وفى تصوراتها الفلسفية لهذا الكون، وما وراء المادة والطبيعة.. إذا نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم، فى هذه القضايا الأمهات، أدركنا السمات التى تمايز بينها ـ جنباً إلى جنب ـ مع سمات تشترك فيها، فتجمع بينها[2].

ولا يخفى أن الباحث الذى يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضارى، إلى حيث تضرب بجذورها فى أعمق أعماق التاريخ.. حيث كان البابليون، والآشوريون، والفينيقيون، والمصريون، وغيرهم ممن أسهموا فى الفكر الإنسانى، كان لهم تمايز حضارى[3].

(١) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨، ٩.

(٣) راجع: الدكتور أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص ٧٨، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ولعل نظرة فاحصة إلى مثل: الصين.. الهند.. واليابان، ستفضى بالباحث إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات القومية، والمواريث الحضارية، وطرائق العيش، والفلسفة، والحياة، وفى النظرة للكون وتصوره، لدى شعوب وأمم هذه الحضارات..

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية، منذ اليونان، وحتى نهضتها الحديثة.. والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج هذه المواريث القديمة للشعوب التى دخلت الإسلام ـ بعد الإحياء لهذه المواريث ـ كثمرة لاندماج هذه المواريث فى الفكر الإسلامى، الذى استصفاها وطورها وفقاً لمعاييره[1]. حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة، ولكن إضافاتهم للأصول التى نقلوا عنها، تشهد بأنهم زادوا، وابتكروا، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية[2].

على أن الذى ينبغى أن نقف عنده: «أن التصور الذى يرى العالم وطناً واحداً لا غزو لفكر فيه، تصور يقوم على انتصار الحضارة الغربية المتغلبة، التى تعمل على مسخ الحضارات العريقة».

إذن: لا بد من التصور، الذى يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه، على المستوى العالمى الإنسانى، وجدنا فى هذا الفكر: «ما هو مشترك إنسانى عام» لا يختص بحضارة بذاتها، وفى هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص.

والتميز فى الفكر، بين ما هو مشترك إنسانى، وبين ما هو خصوصية حضارية، إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية.

فكل العلوم التى موضوعها الطبيعة وظواهرها، والمادة وخصائصها، هى من قبيل الفكر، الذى هو مشترك إنسانى عام، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمى، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية، هى السبيل لاكتشاف حقائق

(١) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ٩ بتصرف.

(٢) انظر: الدكتور توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، ص ١٥١، ط. مكتبة التراث الإسلامى مصر ١٩٩٠م.

هذه العلوم، تلك الحقائق التى هى بنت الدليل، والتى لا تختلف باختلاف مذاهب، وعقائد، وأجناس، وفلسفات المكتشفين. ومن ثم فهى لا تتغاير بتغاير القوميات، والحضارات، بل هى واحدة على المستوى الإنسانى، كما أن موضوعاتها ـ المادة وظواهرها ـ واحدة هى الأخرى، لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات. فعلوم مثل الرياضيات بفروعها، ومثل الكيمياء، والطبيعة، والطب، والجيولوجيا، لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها، وقوانينها باختلاف الحضارات.. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها. لكن حقائق علومها، أى «فكرها العلمى» سيظل واحداً، مهما اختلفت المذاهب، والعقائد، والحضارات[1].

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة، ودربة، ومرانة، أن يصنف هذه العلوم، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات، وروابط.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض. ويعتمد بعضها على بعض. ولهذا كانت الحضارات الإنسانية، ليست ملكاً لأمة بعينها. ولا هى وقف على جماعة من الناس، لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب[2].

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها، على نحو ما، وإلى حد كبير العديد من ثمرات التجارب الإنسانية فى الوسائل، والنظم، والمؤسسات، والخبرات التى ترشد أداء الإنسان، وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات.

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل، فإن تجارب الإنسانية فى الوسائل، والنظم، والمؤسسات، قد تكون صالحة فى أحيان كثيرة للاقتباس، وللتمثل، والاستلهام.

هذا عن العلوم الطبيعية، والتجارب المادية، التى تمثل حقائقها وخبراتها فكراً عالمياً، هو من صميم «المشترك الإنسانى».

---

(١) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ١٦.

(٢) انظر: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية ص ٩٢.

فكما تميزت علوم «المادة» الثابتة بالعالمية، فغدت حقائقها، وقوانينها «مشتركاً إنسانياً عاماً» تميزت كذلك وتتميز علوم العقائد، والمذاهب، والفلسفات، بالخصوصية الحضارية، التى تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم، ومعتقدات الشعوب، وطرائقها فى الحياة[1].

(١) انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ١٧، ١٨ بتصرف.

الغــزو الفكــرى

لقد وضح لنا: أن هناك «غزو فكرى» مقصود، يعمل لإذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، ،ومذاهبها، وحضارتها، لتصبح مسخاً شائهاً تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع.. ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية، وخداعها، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول والدخول إلى المخاطب، من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذى تحمله كلمات الغزو.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت فى هاوية الضلال والانحراف، والفساد الخلقى، والعقدى، والاجتماعى، بسبب تصورات «الغزو» المزخرفة الخداعة، التى يرقص السذج، والجهال على نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها.

ولكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون «الغزو الفكرى»، ويصدرونه فى موجات، تقتحم الديار والبيوت، لقد قيدت الإنسانية إلى هاوية الضلال، والانحراف، ولقد كان «للغزو الفكرى» فى كل جيل، وفى كل عصر دوره التخريبى، فى حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه «للغزو الفكرى» خبراء، ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا، الذى اتخذ فيه «الغزو الفكرى» صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذى يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له..

وقضية الغزو الفكرى، أصبحت اليوم، من أشد القضايا خطراً، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر، فى قلوب وعقول كثير من المثقفين، فى هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذى يستعمله «الغزو الفكرى» مدمر قتّال، يؤثر فى الأمم

والمجتمعات، أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلى الميدان، ويعظم خطره، حين تخفق وسائل الحديد والنار، فى تحقيق الهدف، والوصول إلى الغاية، والخطر الذى يخلفه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذى يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم، والخديعة، فى العرض[1].

ومما لا ينكر: أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات عنيدة من مخالفيه، فقد واجه المشركين فى مكة، واليهود فى المدينة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية والهندية، وغيرها. ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها. فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة، وما تحمله من شبهات، وهى فى جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإباحية. غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن أخطر هذه التحديات هى تلك التى تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدى الذى يتمثل حالياً بالغزو الفكرى الغربى[2].

---

(١) راجع: إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى، ص ٧ ط. شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، العراق ١٩٨٦م.

(٢) عز الدين الخطيب التميمى وآخرين، نظرات فى الثقافة الإسلامية، ص ٣١ دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الأردن.

أسباب الغزو الفكرى

أولا : العداء الصليبى للإسلام والمسلمين :

والباحثون يدركون أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى، فى مرحلتين من مراحل تاريخها: فكانت مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد «توماس إلاكوينى»[1] تريد اكتشاف هذا الفكر، وترجمته.. من أجل إثراء ثقافتها. بالطريقة التى أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات، التى هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى، وفى المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافى، بل من أجل تعديل سياسى، لوضع خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية أخرى، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات فى البلاد الإسلامية[2].

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين، والعصبية العمياء، التى أثارها رجال الكنيسة، فى شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار ـ أى المسلمين ـ فكانت جمهرة المقاتلين، من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية، من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت، والقتل، والتشريد، حملة بعد حملة وجيشا بعد جيش.

والدافع الثانى: دافع سياسى استعمارى، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع

(١) توماس الإكوينى ولد سنة ١٢٢٦م وتوفى سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر المدرسى المسيحى، وفى ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

(٢) مالك بن نبى، إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى، ص ٨، ط دار بيروت ١٩٦٩م.

به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة[1].

ويكاد يكون معروفاً، أن أوروبا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامى، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادى عشر، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر، أى ما يقرب من مائتين وخمسة وعشرين عاماً فى ثمانى حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات، ويصف كاهن مدينة (لوبوى ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس، فيقول: «حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم، فكان أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم فى النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى فى القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه»[2].

وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر ـ رضى الله عنه ـ ويقول فى هذا: «لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان، فكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح، كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها. فإذا ما اتصل ذراع بجسم لم يعرف أصلها. وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة، لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذ لك إلا بمشقة[3].

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ مايو عام ١٠٩٩م، قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء، وفى انطاكية، قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم.

---

(١) انظر الدكتور مصطفى السباعى، السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص ١٨٧-١٨٨، ط بيروت.
(٢) انظر: غوستاف لوبون حضارة العرب، ص ٢، ٤ ترجمة عادل زعيتر.
(٣) لوثورب ستودارد، حاضر العالم الإسلامى، جـ١، ص ٦٠.

فالأمر خطير أنه حقد الشر على الحق، والرذيلة على الفضيلة، وعداوة الشرك للتوحيد، وخصومة الضلال للهدى[1].

وقد صمدت الأمة الإسلامية فى وجه هذه الحروب الوحشية التى سلبت ونهبت، وقتلت وفتكت.

وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية، اشتد وطيسها، بين كتائب الإيمان، وبين جحافل الشر، ارتدت الحروب الصليبية، وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة، فالقديس «لويس التاسع» قائد الحملة الصليبية الثامنة، وملك فرنسا، وقع أسيراً فى مدينة «المنصورة» فى مصر. ثم خلص من الأسر بفدية، ولما عاد إلى فرنسا، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدى نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، وبكل غال.

إذن: لا بد من تغيير المنهج والسبيل، فكانت توصياته: أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين، والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر[2]، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم، لا يمكن أن يأتى عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح.

ولقد بدأت حركة «الغزو الفكرى» من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، بعد هزيمة الحروب الصليبية ـ كما وجههم «لويس التاسع» ـ والعمل على ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين، للبحث عن الثغرات التى يدخلون منها إلى إثارة الشبهات، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هى ضرب وهدم قواعده»[3]، لقد فشلت الحروب الصليبية فى الوجهة الحربية.. لكن بقى الغزو الفكرى ينفث سمومه، ويثير الشكوك، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الديبلوماسية، والرياء السياسى، تحرك ما تريد تحريكه، وتقف خلف الغزو الفكرى، بكل ما لها من قوة، وعلم..

(١) راجع نادية شريف العمرى أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٤.
(٢) إبراهيم النعمة: الإسلام أمام تحديات الغزو الفكرى، ص ١٢.
(٣) أنور الجندى: المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى، ص ١٢٦.

ولا شك أن العداء الصليبى للإسلام هو الدافع الأساسى والأصيل «للغزو الفكرى» الذى تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية، ونجد أن هذا العداء أخذ «شكل السعار الوبائى» لدى الأمم الغربية «الصليبية» فأخذوا متميتين يوزعون السموم، ذات اليمين، وذات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، ثم يدخلون فى روع أنفسهم، وبنى جلدتهم أنهم أرقى عنصراً وأفضل عقلاً، وأفلح ديناً، وأنهم أوصياء على البشرية، وسادة الإنسانية، وهداتها، ومرشدوها»[1].

وقال «وليم غيفورد بلغراف» الإنجليزى المسمى بالحرباء: الكلمة المشهورة التى يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام: «متى توارى القرآن، ومدينة مكة، عن بلاد العرب، يمكننا أن نرى العربى، يندرج فى سبيل الحضارة، التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[2].

وجلادستون رئيس وزراء بريطانيا يقول: «ما دام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان»[3].

ويرى غاردنر: «أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوروبا»[4].

ويوضح هذا العداء، ويذكر بعض أسبابه المستشرق «بيكر»، فيقول: «إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى، أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار، وانتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها»[5].

ويقول فى هذا المعنى «لورانس براون»: «إن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع، وفى حيويته، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الغربى»[6] ثم بين «لورانس براون» «أن خطر المسلمين هو الخطر

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية، ص ٧٠٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) نادية شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٦٧.
(٤) عبدالرحمن الميدانى: أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق وانظر عمر فروخ: التبشير والاستعمار، ص ١٨٤.

العالمى الوحيد فى هذا العصر، الذى يجب أن تجتمع له القوى، ويجيش له الجيوش، وتلتفت إليه الأنظار»، فيقول حاكياً آراء المبشرين: «إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية، إن المسلمين يختلفون عن اليهود فى دينهم، إنه دين دعوة، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم، وبين غير النصارى، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل فى أوروبا ـ كما يراه المبشرون ـ وهو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطوءة بالأقدام».. ثم يقول: «إننا من أجل ذلك نرى المبشرين، ينصرون اليهود على المسلمين فى فلسطين، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى والخطر الأصفر «باليابان وتزعمها على الصين» وبالخطر البلشفى، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم[1] عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة، تتكفل بمقاومتها، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام»[2].

ولقد اشترك الاستعمار الغربى، والجهد التبشيرى، والحقد الصليبى، فى حرب المسلمين، وتشتيت تراثهم، ونهب ديارهم، بحيث أصبح يخيم عليهم كسحابة سوداء، من البغضاء والكراهية، يتمثل هذا فيما حدث فى عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبى القدس، وأعلن: «الآن انتهت الحروب الصليبية» كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية، الروح الصليبية، التى ظلت متوهجة فى أعماقهم طول تلك الحقب، وبنفس الحقد الذى صدر عن الجنرال الإنجليزى اللبنى، كان مسلك الجنرال الفرنسى «غورو» قائد الجيش الفرنسى فى دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين، بعد أن جاء راكباً سيارة مكشوفة، وترجل إلى القبر، وقال قولته المشهورة: «نحن هنا يا صلاح الدين»، وفى اليوم التالى عمل الشىء نفسه فى حمص، حيث ذهب إلى قبر «خالد بن الوليد» ـ رضى الله عنه ـ وقال: «نحن هنا يا خالد»[3].

---

(١) الواقع أن اليهود لم يضطهدهم المسلمون، ولكنهم هم الذين اضطهدوا المسلمين وتآمروا عليهم.

(٢) انظر الدكتور توفيق الواعى: الحضارة الإسلامية، ص ٧٠٦.

(٣) انظر الدكتور توفيق الواعى: الحضارة الإسلامية، ص ٧٠٧.

هذا الحقد والضغن، والمقت، كان سبباً قوياً، فى الإغارة على المسلمين، بشتى الأساليب، والطرق، والأشكال، والألوان، وما زالت تلك الموجة، تعلو، وتشتد، وتمتد، ثقافياً وفكرياً، لتخريب قواعد الإسلام، والأخلاق الإسلامية، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة[1]، وشغل الأمة الإسلامية، بكل ما هو هامشى فى حياتها، حتى لا تدرك اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها.

لقد وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامى وإخضاعه هو سلوك الغزو الفكرى، فوضعوا الخطط، وحاكوا المؤامرات للغ ة على الأفكار، والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام، حضارة وثقافة، وصارت قاعدتهم التى ارتكزوا عليها:

«إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعبده».

وانطلقت الصيحة إلى ضرورة نقل المعركة من ساحة الحرب إلى ميدان الفكر والمعرفة[2]. فأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته سعياً وراء هدم عقائده وأفكاره، ونشر الأفكار الغربية بديلاً عنها.

ولا شك أن الغزو الفكرى أعمق أثراً، وأشد فتكاً فى حياة الأمة من الغزو المسلح، لأنه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها، ذلك أن الأمم تقاس بمقوماتها العقيدية، والفكرية، وقيمها الخلقية.

فالغزو الفكرى الأخلاقى أخطر من الغزو المادى المسلح، لأنه يمضى بين الناس، فى صمت ونعومة وخفاء فى الأهداف، مما يجعل الناس تدريجياً يتقبلون كل جديد، ولو خالف قيمهم وعقائدهم وأفكارهم ينظرون ولا يشعرون..

وإذا كان العداء الصليبى للإسلام والمسلمين سبباً رئيساً دفع بالغرب إلى «الغزو الفكرى» للمجتمعات الإسلامية فإن هناك أسباباً أخرى ـ غير العداء الصليبى ـ ساعدت على انتشار «الغزو الفكرى» وعملت على هزيمة المسلمين أمام هذا الغزو. ونجد ذلك واضحاً فى السبب الثانى..

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٠٧ وانظر أنور الجندى: المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى، ص ٢٨٦.

(٢) انظر عز الدين الخطيب التميمى وآخرين: نظرات فى الثقافة الإسلامية، ص ٣٣.

ثانيا : الاستعمار الغربى للمجتمعات الإسلامية :

لقد تعرض المجتمع الإسلامى فى آسيا، وإفريقيا، للطابع الأيديولوجى للمجتمع الأوروبى، سواء الحديث منه فى القرن التاسع عشر، أو المعاصر فى القرن العشرين، ولم تكن للمجتمع الإسلامى مناعة كافية فى رفض هذا الطابع وتحديه، وعدم تقبله.

فتعرض للغزو الأوروبى، من أجل الصناعة الغربية، منذ أثمر عهد النهضة الأوروبية ثمرته فى التحرر والخلاص، من سلطة الكنيسة، وفى استرداد الإنسان الأوروبى حرية الحركة فى التجارة، وفى شؤون المال على العموم، وحرية التفكير والتوجيه السياسى[1].

وكان الوضع فى البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب المجتمع الأوروبى بالمجتمعات الإسلامية، وانقضاضاً عليها من جانب، بينما كان استسلاماً من أى مجتمع إسلامى، تعرض للتربص والانقضاض، وقبولاً للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوروبى من جانب آخر[2].

ومما مسجل فى صفحات التاريخ: أن المجتمع الإسلامى وقع فريسة للاستعمار، فقد احتلت بريطانيا: الهند فى سنة ١٨٥٩م ومناطق الخليج الإسلامى، وجنوب شبه الجزيرة العربية فى سنة ١٨٤٩م، ومصر فى سنة ١٨٨٢م، والسودان فى سنة ١٨٩٨م.

واحتلت فرنسا: الجزائر فى سنة ١٨٣٠م، وتونس فى سنة ١٨٨١م، والمغرب سنة ١٩١٢م.

واحتلت إيطاليا: طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١م.

واحتلت هولاندا: جزر الأرخبيل الأندونيسية تباعاً منذ عام ١٩٠٣م.

وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر فى سنة ١٨٧٣م وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية فى وسط آسيا، وهى: أذربيجان،

---

(١) انظر الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى، ص ٥١، ٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١.

وكازاخستان، وأوزبكستان، ونوركيستان، وكزيخستان. . سيطرة تامة فى القرن التاسع عشر، ولم يسلم من الاحتلال الأوروبى سوى: اليمن، والحجاز، وإيران، ووسط تركيا[1].

ولا يخفى أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وهذا أدى إلى تفوق الصناعات الغربية. وكلما قوى المجتمع الأوروبى وتفوق صناعياً، كلما زادت رقعة استعماره فى قارة إفريقيا وقارة آسيا. .

وكلما زادت قبضة أوروبا على ما تم استعماره، وكلما اتسع نفوذها السياسى والاستغلالى، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامى، الذى وقع تحت سلطة الاستعمار، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتى من الغرب.

ويوم أن تحرك المجتمع الأوروبى لاستعمار المجتمعات الإسلامية، كان فى قمة مجده، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة واستقلاله بالسلطة الزمنية، وبالحرية الفردية، فى التفكير، والتوجيه، وبالحرية السياسية، كما كان فى أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية.

اصطحب الاستعمار معه هذا الاتجاه، بما يستتبعه فى الحكم، والتوجيه، والتشريع، والاقتصاد، فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه.

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه فى المجتمع الإسلامى، وهو مجتمع يغاير فى خصائصه، وتاريخه، وواقعه المجتمع الأوروبى، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق، وهو عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه، وعن تراثه العقلى، والروحى، والتوجهى، والسلوكى. .

فإذا ما تم عزله، أصبحت قيادته ميسرة، وطيعة للمستعمر، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة[2].

---

(١) راجع هامش ص ٥٢ من المصدر السابق.

(١) راجع المصدر السابق.

ثالثا: تقدم الغرب العلمى:

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً وتقدماً مادياً هائلاً وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والإنتاج وروحاً عملية فى مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ[1].

ولا شك أن التقدم العلمى المذهل للغرب، كان قوياً دفاقاً، وله من القوة والانتشار والاستيلاء، ما بهر العقول، وفتن الألباب، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمى عرفه العالم، وسمعت عنه البشرية فى التاريخ المترامى الأطراف، واستطاع أن يخرج من الأسرار، ويكشف من الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به[2]، وخاصة أن هذا العلم أصبح فى خدمة الإنسان، فى كثير من مناحيه، فاتجهت الأنظار، والقلوب إلى الغرب، تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتى بجديد.

لقد واجه العالم الإسلامى مشكلة تقدم الغرب العلمى، وجهاً لوجه، وهذا التحدى السافر على طريق واحد. وهو صاحب الحضارة العريقة، والرسالة الدينية الخاتمة، وصاحب الشهادة على البشرية، بعد ما انسحبت كل الديانات والمذاهب القديمة، متوارية من نوره الوهاج، وحجته المشرقة، وصاحب الرقعة الواسعة، والثقافة المنتشرة، والقوى الكبرى التى كان يحسب لها ألف حساب. فكان تحدى الحضارة المادية للعالم الإسلامى، أعظم من تحديها لأى أمة، ولأى حضارة، ولأى ثقافة، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية، وفلسفات مادية، ونظم سياسية، واقتصادية، وعمرانية، واجتماعية، وخلقية، وكان لا بد أن ينظر الناس ـ وخاصة الشعوب المتخلفة ـ إلى هذه المذاهب، والفلسفات، والنظم نظرة تقدير واحترام ، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة، وحصاد تلك الأمم المتطورة التى فتتت الذرّة، وصنعت الطائرة والصاروخ، وأدارت الأقمار[3]، وغزت الفضاء، لتراقب سلوكيات الإنسانية كلها ـ وخاصة تحركات

(١) انظر: محمد قطب واقعنا المعاصر ص ٣٤٣.

(٢) الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٥.

(٣) الدكتور توفيق الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٦.

المجتمعات الإسلامية ـ ولتكتشف من الفضاء الواسع، ما يزيدها من العلم تمكيناً وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوروبية، والتقدم العلمى والصناعى، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادى إلى المجتمعات الإسلامية، فى إفريقيا، وفى آسيا، لاستخدام هذا الإنتاج فى تيسير الحياة، والتغلب على الصعوبات والمشاق التى تصحب عادة الحياة الإنسانية المتخلفة، أو البدائية، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتختبر فى التطبيق وفى واقع الحياة[1].

رابعا: الضعف الفكرى، والتفكك الاجتماعى:

لقد أصيب المجتمع الإسلامى بالضعف الفكرى، والتفكك الاجتماعى، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر، والضعف الفكرى، ما أصيبت به أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، إلا كانت الحالة انحطاطاً فى التفكير، واهتماماً بالخرافات والأساطير.

والتفكك الاجتماعى نتيجة حتمية للضعف الفكرى، لأن الضعف الفكرى لا يكشف للإنسان مخاطر الإنزلاق فى الهاوية، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية، ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة، والمذهبية التعصبية، وتعدد السلطنات والدويلات، التى قامت على أساس شعوبى أو مذهبى، فى هذا المجتمع أو ذاك.

وهذا كله جر المجتمع الإسلامى إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقى، ونهب وقتل، دون رادع أو وازع.. ومجتمعاً كهذا لا بد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به. لقد كانت السلطة السياسية فى المجتمعات الإسلامية تعيش فى وضع مقلوب «وفى ذلك الوضع لا بد أن تكتمل الصورة المقيتة لأى امبراطورية على وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التى ترفعها، سواء كانت امبراطورية فارسية، أو بيزنطية، أو رومانية، أو عباسية. لا بد أن تتفشى الرشوة، وتكثر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية، مع الإنحلال الخلقى، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذى يدق الأبواب»[2].

---

(١) الدكتور محمد البهى، الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر، ص ٥٤.

(٢) انظر الشيخ محمد الغزالى، تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، ص ١١٠، ط، دار الشروق، بيروت.

وأساس انهيار الأمم، يبدأ من الداخل، وقد يأتى تدخل خارجى ليعجل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الأكبر، ويأتى الانهيار الداخلى حين تتكون طبقة مترفة تتحكم فى الثروة، وفى الجماهير، فتنشر الظلم، والإنحلال، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة»[1].

لا شك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها، كانت سببا فى تأخرها وغفلتها، وطمع الطامعين فى مجتمعاتها.

وأى أمة تضعف فى أفكارها، ولا تعرف إلا القشور من أمرها، وتعيش فى تناحر وتمزق، لا بد وأن تسقط، وينال منها من كان يهابها.

خامسا: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن المجتمعات الإسلامية، حين أصابها الضعف الفكرى، والتفكك الاجتماعى، انشغلت بالتافه من الأمور، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم، والتقدم، والحضارة.. ومعنى هذا، أن المجتمعات الإسلامية، انصرفت عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى العلم، والمعرفة، واستعمال العقل والفكر فى كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم، «وواكب هذا الانصراف انحطاط فى القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع، والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور، حتى كان قواد هذا الركب فى كل ناد، وكل صحيفة، مع جهل ضارب، ونفاق ناشب أظفاره، وفساد فى كل مجتمع وناد، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكره للقيم، وضياع للحق، وهضم للحقوق، وذبح للفضيلة»[2].

وكان وضع البلاد الإسلامية، كما صوره شاعر تركيا الإسلامى الكبير محمد عاكف: «يسألنى الناس أنك كنت فى الشرق مدة طويلة. فما الذى شهدت يا ترى، وما عسى أن يكون جوابى؟ إننى أقول لهم: إننى رأيت الشرق من أقصاه، فما رأيت إلا قرى مقفرة، وشعوباً لا راعى لها، وجسوراً متهدمة، وأنهاراً

(١) راجع المصدر السابق، ص ١١٣.

(٢) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامى مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٩٦.

معطلة، وشوارع موحشة، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة، وظهوراً منحنية، ورؤوساً فارغة، وقلوباً جامدة، وعقولاً منحرفة.

رأيت الظلم، والعبودية، والبؤس، والشقاء، والرياء، والفواحش المنكرة المكروهة، والأمراض الفاشية الكثيرة، والغابات المحرقة، والمواقد المنطفئة الباردة، والحقول السبخة القاحلة، والصور المقززة، والأيادى المعطلة، والأرجل المشلولة..

رأيت أئمة لا تابع لهم، ورأيت أخاً يعادى أخاه، ورأيت نهاراً لا غاية له، ولا هدف، ورأيت ليالى حالكة طويلة، لا يعقبها صباح مسفر، ونهار مشرق»[1].

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق فى الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد فى كل شىء على غيرها، إن التخلف العقلى لا يكمن فى عدم الذهاب إلى الجامعات، واكتساب المعارف فقط، بقدر ما يكمن فى التبلد، والخمول، والنوم، والرضاء بالدون، وموت الهمة[2]..

ومن المؤكد أن الأمة التى تفضل أو ترضى بالتواكل، والاستجداء، والكسل، والتبعية، أمة لا تستحق الحياة الكريمة، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن، والثمن هو التضحية، ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها فى الحياة، وأن تستعيد وجودها وكرامتها، وتعيد صنع حياتها، دون أن تحاول جاهدة أن تبنى نفسها بناءاً يتفق مع الاعتداد بالذات.

وقد يكون من المسلمات البدهية: أن فقر الأمة فى جوهره وجذوره ليس فقراً فى السلاح والمعدات، أو فقراً فى المال والإمكانات، وإنما يكمن فى فقر النفوس وعجزها، وضعف الإرادة واضطرابها[3]..

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط، ويقودها طواعية إلى الهلاك، كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكرى، الذى اجتاح البلاد والعباد.

---

(١) راجع المصدر السابق، ص ٦٩٦ وانظر أبو الحسن الندوى، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٣٥.

(٢) انظر: الدكتور توفيق الواعى، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة بالغربية، ص ٦٩٨.

(٣) انظر: الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح، معارك حاسمة فى حياة المسلمين، ص ١٥٤، ١٥٥ ط. دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ.

سادسا: الفراغ العقدى:

من المؤكد لدى الباحثين، أن العقيدة هى الأمر الذى تثق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقيناً عند صاحبه، ولا يمازجه شك فيه، ولا يخالطه ريب. ويذكر العقاد: أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقة دراسة، إنما نعنى بها حاجة النفس، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات، ومن فرغ من العلم والمراجعة، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره، إنما نعنى بها ما يملأ النفس، لا ما يملأ الرؤوس أو الصفحات[1].

إن العقيدة التى يصح أن توصف بالعقيدة الدينية، هى التى لا يستغنى عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها، ولا يرفضها من اعتصم منها، بمعتصم، واستقر فيها على قرار[2].

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التى تواجه كثيراً من المفكرين[3].

والحقيقة التى أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث، والخطوب، والمحن، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان، والمجتمع، وهى رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة، وجهاد فى السلم والحرب، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة.. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه.. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويترفع وينهض.

فالفرد بغير عقيدة كالريشة فى مهب الريح، تحوله يميناً وشمالاً، فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار، وليس له جذور تثبته[4].

---

(١) عباس محمود العقاد، العقائد والمذاهب، مجلد رقم ١١، ص ٤٠٢، ط. دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣١.

(٣) انظر: الدكتور أحمد السايح، عباس محمود العقاد فيلسوفاً، رسالة «ماجستير» ص ١٦٦.

(٤) انظر: محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٢٥٧ ط. مكتبة المنار، الأردن. ـ وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح، العقيدة والإنسان، مجلة الخفجى، السنة العشرون، العدد الأول، ص ٤، ٥، أبريل ١٩٩٠م السعودية. ـ وانظر كذلك أبو الحسن الندوى، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢١٨، ط. دار الكتاب العربى ١٤٠١هـ.

والعقائد فى الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، وتعطى أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان فى الحياة، أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحى، وعن عمقها الإيمانى[1]، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب..

والباحث فى أحوال الشعوب الإسلامية: يجد أنها لم تحسن التخطيط، ولم تستفد من الدروس، فانطلقت فى سبيل الشهوات والملذات، والطوائف، والاختلاف، وتركت تعاليم الإسلام التى تدعو إلى الفكر، والعلم والحضارة.. فكان ما كان..

لقد اتضح لنا أن «الغزو الفكرى» الذى تعرضت له شعوب الأمة الإسلامية ولا تزال تتعرض، قام على أسباب وبواعث، دفعت بالغزو الفكرى إلى تكالب مسعور، وكان فى الإمكان أن ترد الهجمة الشرسة، ولكن كانت هناك عوامل تنتشر فى المجتمعات الإسلامية، ساعدت على توغل الغزو الفكرى، وانتشاره بين الناس.

وقد سبق أن ذكرت أن من عوامل وأسباب «الغزو الفكرى»:

* العداء الصليبى للإسلام والمسلمين.
* الاستعمار الغربى الذى أصاب بعض المجتمعات الإسلامية.
* تقدم الغرب العلمى.
* الضعف الفكرى والتفكك الاجتماعى الذى أصاب المسلمين.
* الفراغ العقدى الذى دلت عليه سلوكيات المسلمين.

وقد تكون هناك أسباب أخرى: داخلية أو خارجية، عملت على تمزيق الأمة الإسلامية، وقتل روح الأصالة فيها والتجديد، والقدرة على مواجهة التحدى.

ولا يخفى أن التعرف على الأسباب، قد يدفع العلماء، وقادة الفكر إلى تشخيص الداء، وبذل الدواء، وإذا عرف التحدى أمكنت المواجهة، وإذا كانت معرفة أسباب الغزو الفكرى، تقف بالمسلمين على محطات الانطلاق، فإن معرفة مظاهر الغزو الفكرى، تساعد على التبصر بالمواقع والمواقف.

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠١، ٧٠٢.

مظاهر الغزو الفكرى

مظاهر الغزو الفكرى كثيرة ومتعددة، وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناءاً على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية..

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية، وتدارسوا الأمر فيما بينهم، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة، وتوالت مظاهر الغزو الفكرى تنتشر بين المسلمين، يساعد على ذلك أمران:

الأمر الأول: موالاة بعض حكام المسلمين للغرب.

الأمر الثانى: الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها.

ولولا هذه المساعدة، لكان من الصعب على مظاهر الغزو الفكرى أن يستشرى خطرها، وقد نجح الغزو الفكرى فى إعداد بعض «كوادر» تتولى القيادة، وإدارة أمور المجتمعات. وكانت الدعاية للنظم الغربية، والتغرير بها، تدفع الناس إلى قبول ما يأتى من الغرب ـ أياً كان ـ.

ومظاهر الغزو الفكرى يلمسها المراقب والباحث فى كثير من القضايا مثل:

١ - حملات التشويه.

٢ - إحياء النزعات الجاهلية.

٣ - إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة.

٤ - التعليم والثقافة.

٥ - الخدمات الاجتماعية.

أولا: حملات التشويه:

إذا ما بحثنا فى حملات التشويه ـ والتى كانت مظهراً من مظاهر الغزو

الفكرى ـ وجدنا أن هذه الحملات، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد، ونظم، وتراث، وتاريخ، وفكر، وحياة.

١ - فهناك محاولة تشويه عقائد المسلمين، بغير سند ولا دليل. يقول رينان الفرنسى، وهو يصور عقيدة التوحيد فى الإسلام: «بأنها عقيدة تؤدى إلى حيرة المسلم. كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك»[١].

ودائرة المعارف الإسلامية فى طبعتها الجديدة، التى لم تترجم إلى اللغة العربية، تزعم فيما تعرضه تحت مادة: «ابن تيمية»، أن ابن تيمية كان مسرفاً فى القول بالتجسيد، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التى تشير إلى درجة أن ابن بطوطة يروى عنه، أنه قال من منبر جامع دمشق: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا، ثم نزل درجة من درج المنبر»[٢].

٢ - وهناك محاولة: تشويه القرآن الكريم، وهى محاولة قديمة وحديثة، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق. يقول المستشرق جب: «إن محمداً قد تأثر بالبيئة التى عاش فيها، وشق طريقه بين الأفكار والعقائد الشائعة فى بيئته، فالقرآن من صنع محمد ﷺ ومن ملاءمات هذه البيئة التى عاش فيها[٣].

٣ - وهناك محاولة: تشويه السنة النبوية، وهى محاولات ضارية، عميقة الجذور فى تاريخ الحرب ضد الإسلام، وهى محاولات تستهدف فيما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم، من عزل المسلمين عن دينهم، بتشويه مصدريه الأساسيين: القرآن والسنة.. وهى حرب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغزو الفكرى، وقد جنّد أعداء الإسلام لتشويه السنة، ما جندوا من أقلام، وكتب، ومجلات، وبحوث، ومجمل محاولات الأعداء:

* الإدعاء بأن هناك بعض الأحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى ﷺ.

---

(١) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٠٨.

(٢) انظر: عبدالعزيز على المحويتى، مجلة المنهل ع ٤٨٥، ص ١٠٨، ١٠٩، جمادى الآخرة ١٤١١هـ جدة، السعودية.

(٣) انظر: الدكتور على عبدالحليم محمود، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ص ٢٩، جامعة الإمام ١٤٠١هـ.

* والإدعاء بأن الفرق الإسلامية عندما اختلفت فى الآراء، أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التى يؤيد بها رأيه.

* الإدعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلاً للجدل الدينى فى القرون الأولى[1].

٤ - وهناك محاولة تشويه شخصية الرسول محمد ﷺ، وهى محاولات قديمة وحديثة ومستمرة، تهاجم رسول الله ﷺ، وتحاول أن تنال من شخصه.

٥ - وهناك محاولات تشويه التاريخ الإسلامى. وهذه المحاولة من أخبث المحاولات وأكثرها دهاءاً ومكراً، فقد صوّر هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر، وسفك للدماء، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين.

٦ - محاولة تشويه التراث الإسلامى، ولا يخفى أن تشويه تراث الأمة، هو تشويه للأصالة التى تنطلق منها. وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامى، فأصابه ما أصاب غيره من الافتراء والافتئات.

٧ - هناك محاولة تشويه مجال الغيب فى الإسلام، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين، ولذا جاءت المحاولة تشكك فى كل ما لا تدركه الحواس، وتفسر الجزاء عند المصدقين به.. بأنه جزاء روحى، والجنة والنار بأنهما شعور نفسى.

٨ - وهناك محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف فى الإسلام.

والتهم التى وجهت إلى نظام الحياة الإسلامية كثيرة ولكن أبرزها وأخطرها:

(أولاً): اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم[2].

(ثانيا): اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والإقليمية.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨.

(ثالثا): اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ، تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة، وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد.

(رابعاً): اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية، بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها، فى عصر من العصور.

(خامساً): اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية، فى ظل الدولة الإسلامية.

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين، وشاركهم فى إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربى.

٩ - وهناك محاولات تشويهية أخرى، تتصل بجوانب من الإسلام وتعاليمه.

ثانيا: من مظاهر الغزو الفكرى:

إحياء النزعات الجاهلية التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام، كالدعوة إلى القومية، والدعوة إلى الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، وما جرى مجرى هذا، مما يتنافى مع الإسلام.

ثالثا: الدعوة إلى التحلل والإباحية:

وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة فى أخلاقها وقيمها، وقد شاعت فى المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة. ولكنه الانحراف الذى لا يعترف بالقيم الفاضلة.

رابعا: إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة:

ولا يخفى أن إبعاد العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته. وفى بعض المجتمعات تقلص دور العلماء، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة، وبعض الأحاديث التى تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً، تذل له الجباه، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر فى الأتباع، وأياد فى التصفيق والتأييد.

خامسا: التعليم والثقافة:

ولا يخفى أن الغزو الفكرى، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أى مظهر آخر.

وقد دخل الغزو الفكرى إلى العالم الإسلامى، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعى. إذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن. يقول القس زويمر: «المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون فى التحكم بالمسلمين»[1].

ومن المعروف أن المسلمين أقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة، يلتهمون كل ما احتوته من عقيدة وفكر، ولا يميزون صحيحها من فاسدها، ونفعها من ضرها[2].

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب، بل مناهج فكر وخلق، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها فى شتى ضروب نشاطها، فإن «الغزو الفكرى» استطاع من خلال الثقافة، أن يلقى بمزيج من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغريب المنحرف، والتوجيه الفاسد، القائم على التخطيط الشرير[3]. ولذا قام الغزو الفكرى بالدعوة إلى الأغراض الآتية:

١ - الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية.

٢ - الدعوة إلى العامية، وإلى تطوير اللغة.

٣ - إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية، والشعور بمركب النقص.

٤ - دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية.

٥ - توهين جهود المخلصين الثقافية والإبداعية.

٦ - تمجيد القيم الغربية، وتسفيه القيم الإسلامية، والدعوة إلى نبذها.

٧ - لفت المجتمعات إلى القشور، وإلهائها عما يفيد وينفع.

---

(١) محب الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامى، ص ٤٨، ط ١٣٨٤هـ.

(٢) إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى، ص ١٣.

(٣) انظر: عمر عودة الخطيب، لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٦٧، ١٦٨.

٨ - إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية، والبعد عن الأساليب العلمية.

٩ - إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية، وبذر الشكوك ولى الحقائق فيها.

١٠ - الحرص على تكوين جيل مثقف، يحمل راية الاستشراق والدعوة إليه[١].

١١ - الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

سادسا: الخدمات الاجتماعية:

والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر «الغزو الفكرى» إذ أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره، من خلال الخدمات الاجتماعية، ولذلك أصبحت الملاجىء، والمستشفيات، والمستوصفات، والجمعيات الخيرية، ووكالات الإغاثة، ودور الأيتام، والمسنين، وغيرها.... مراكز غزو!!

ومما يلاحظ أن «الغزو الفكرى» لم يقتصر على المظاهر التى ذكرنا بعضاً منها، وإنما كانت هناك خطوات أخرى، محسوبة ومتعددة، على الجهات والطرق كافة، ومن هذه المخططات:

١ - الإرساليات التبشيرية التى قل أن يخلو مجتمع إسلامى منها.

٢ - الإعداد الصهيونى والتنسيق بينه وبين الفكر الغربى.

٣ - التصنيف والتأليف فى المباحث الإسلامية، واستغلال قصور المسلمين فيها.

٤ - إلقاء المحاضرات فى الجامعات أو الجمعيات الإسلامية.

٥ - إنشاء دوائر المعارف الإسلامية والمعاجم المختلفة.. وغيرها...

٦ - استغلال البعثات العلمية والثقافية.

٧ - الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها.

٨ - استغلال الأقليات والطوائف وإثارة النعرات.

---

(١) انظر: الدكتور توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٧٢٢.

٩ - التعاون بين التبشير والسياسة.

١٠ - استغلال الحركات الوطنية، والتطلعات السياسية.

١١ - استغلال فقر الشعوب، وحاجتها، وعريها، وربط الإحسان بالتبشير.

١٢ - استغلال العواطف والجوع الجنسى، واستخدامه فى خدمة الأهداف.

١٣ - الرحلات، وجمعيات الصداقة، والدعوة إلى العالمية، والمجتمعات الكشفية.

١٤ - المساعدات الاقتصادية، وربطها بتسهيلات، وتنازلات معينة.

١٥ - الدعوة إلى الحوار الحر، مع نبذ العقائد والأفكار، والتجرد للوصول إلى الحقيقة[١] فى زعم هؤلاء.

(١) المصدر السابق، ص ٧٢٣.

تيارات الغـزو الفكـرى

ومما لا يخفى على باحث أو دارس، أن الغزو الفكرى لكى يحقق أهدافه من إبعاد الأمة الإسلامية عن أصالتها، وآدابها، اتخذ له منافذ متعددة، وتيارات مختلفة، قد تبدو متباينة، ولكنها تلتقى جميعها فى محاربة الإسلام والمسلمين، ومن هذه التيارات والحركات:

(الاستشراق)، (التبشير)، (الصهيونية)، (الماسونية)، (أندية الروتارى)، (العلمانية)، (القوميات)، (التغريب)، (الوجودية)[1]، (الفوضوية)، (القاديانية)، (البابية والبهائية).. وغير ذلك.

إن هذه التيارات والحركات، صنعها «الغزو الفكرى»، ليمر من خلالها إلى الشعوب الإسلامية. وقد استطاعت هذه التيارات أن تثبت أقدامها، وتوطد علائقها، وتقيم معاهدها، ومدارسها.

وهناك مجتمعات إسلامية ـ جميع أبنائها مسلمين ـ بدت فيها ظاهرة لا يتنبه لها إلا بعض الباحثين وما أخطر هذه الظاهرة. ظاهرة انتشار صورة الصليب فى أشكال، قد لا تلفت النظر لأول وهلة.

كأن تكون داخل مربع يضىء ليلاً، أعلى قمة محل تجارى..

وقد تكون الشارات والشعارات النصرانية داخل إطار دائرى، تتزين به حجر الاستقبال..

قلت لصديقى الذى تتزين حجرة جلوسه بثلاث من هذه الدوائر: ما هذا؟ قال: لا أدرى ـ والله ـ إنها أدوات زينة.

وقد تكون داخل إطار كتابى «شعاراً» لإحدى الشركات الكبرى.

---

(١) انظر: وراجع كتابنا، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، ط. دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٢هـ.

وفى بعض المجتمعات الإسلامية، لا يستطيع أحد أن يشير إلى أى ظاهرة من ظواهر الغزو الفكرى فى المجتمع بأى إشارة كانت.

وهكذا تعيش بعض المجتمعات الإسلامية فى ظواهر الغزو الفكرى، ولا أحد يرى، ولا أحد يتكلم، ولا أحد يسمع.

لقد نجحت الحملات التى قامت بها مؤسسات الغزو الفكرى الغربى فى تحقيق أغراضها نجاحاً بعيداً، حين ضمت إليها فئات مثقفة من المسلمين، وجعلتها فى صفها تحارب الإسلام وثقافته. وأكثر من هذا، إن هؤلاء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية، إذا تناقضت مع الثقافة الغربية. وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية ويتعشقونها. ويتجهون فى الحياة طبق مفاهيمها[1].

لقد أقبل الكثير من المسلمين على ثقافة الغرب يدرسونها ويطبقونها ويتسابقون فى الأخذ بها. واستجاب المسلمون إلى الدعوات العنصرية حتى صارت على لسان الكثيرين. وحتى صارت الإقليمية الضيقة هى المرتكز لأى عمل، فى أى اتجاه، سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً. إن هناك حرباً تشن على العقائد الموروثة، وعلى المسلمات التى تتصل بالوحى والبعث. وهناك فلسفات مطروحة، ترمى إلى إلغاء القيم الثوابت، وإقامة التطور المطلق، وتجاوز الروح، وإقامة المادة وحدها، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسؤولية الفردية والدعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب.. بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها بإخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين، ودعوتهم إلى علمنة الذات العربية. هناك دعوات إلى إعادة طرح الأساطير، والإباحيات فى أفق الفكر الإسلامى عن طريق القصة، والمسرح، والصحافة. وهناك دعوات تزين الباطل وتزخرفه، ودعوات تحول الشر إلى صور برّاقة زاهية[2]..

(١) انظر: عز الدين الخطيب التميمى وآخرين، نظرات فى الثقافة الإسلامية، ص ٤٦.

(٢) أنور الجندى، شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى، ص ٤٧، ٤٨، ط. المكتب الإسلامى، بيروت ١٤٠٣هـ.

الاستشـــراق

أصبح موضوع الاستشراق والمستشرقين من المواضيع التى تشد انتباه علماء الإسلام، لما رأوا أن دراسات المستشرقين للإسلام، لا تخلو عن نوع من التدسيس والتحريف، بحسب ما يقومون به، من تحقيق علمى، أو اكتشاف تاريخى، ذلك أن العمل الاستشراقى، لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة، ولكن أصبح مزيجاً من الحق والباطل[١]، ومن هنا صار حقاً على الباحث والدارس، أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق[٢]، والوقوف على معالمه البارزة، وآفاقه، ومظاهره، وأهدافه، ليتبين الطريق، ويتبصر الأمة، ويتعرف على المعالم، والحقائق، فيكون على بينة من أمر يمسه فى حياته، ويهمه أن يكون على وعى له ومنه.

والواضح أن كلمة «الاستشراق» مشتقة من مادة «شرق»، يقال شرقت الشمس شرقاً وشروقاً: إذا طلعت[٣]. ومما يسترعى الانتباه، أن كلمة الاستشراق، والتى نبحث عن مفهومها اللغوى، لم ترد فى المعاجم العربية المختلفة[٤]، وليس معنى عدم ورودها فى المعاجم اللغوية، منع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقى استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق، حيث يبدو أن معنى استشرق: أدخل نفسه فى أهل الشرق وصار منهم[٥].

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم «مولد عصرية» يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة[٦].

(١) انظر سعيد الأعظمى: الإسلام والمستشرقون لماذا؟ ص ٧ من كتاب الإسلام والمستشرقون، ط. عالم المعرفة ص ٥ ، ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢١.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ج١ ص ٤٨، ط. القاهرة، ١٩٦٠م.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ج١ ص ١٧٣، الفيروز آبادى: القاموس المحيط ج٣ ص ٢٤٨ الأزهرى، تهذيب اللغة ج٨ ص ٣٢٦، الجوهرى، الصحاح ج٢ ص ١٥٠٠، والشرنوبى، أقرب الموارد ج١ ص ٥٨٦ وغير ذلك.

(٥) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٦) الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة ج٣ ص ٣١١ ط. بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٥٨.

«والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق وآدابه»[1].

أم لدى علماء الغرب فيتساءل «أربرى» نفسه: ما هو الاستشراق؟ وما كنه المستشرق؟ ومن الجلى أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذى لا يزال مجهولاً بين الجماهير، يحسن أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه، حتى يتعرفوا موقفهم صحيحاً، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم، أن الاستشراق، ومثله فى ذلك كثير من فروع العلم الأخرى، قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمى فى حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له، حيث أن المستشرق يشارك فى عمله عالم الآثار، والحفريات، والمؤرخ، وعالم الصرف، والاشتقاق، وعالم الأصوات، والفيلسوف وعالم اللاهوت، والموسيقى، والفنان[2].

أما قاموس اكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه: «من تبحر فى لغات الشرق وآدابه[3]، ويقول بارت: «الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة»[4] ويعرف جويدى علم الاستشراق فيقول: «الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق ومن الممكن أن نقول إنه بناء على الارتباط المتبين بين التمدن الغربى، والتمدن الشرقى، ليس علم الشرق إلا باباً من أبواب تاريخ الروح الإنسانى، وليس صاحب علم الشرق الجديد، بهذا اللقب الذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.

هو من تعاطى درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الأوسطى، مثلاً أو فى النهضة الحديثة،

---

(١) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٢) انظر: الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٣) أربرى: المستشرقون البريطانيون، ص ٧، ٨، ترجمة محمد الدسوقى النويهى، ص. وليان، لندن.

(٤) الدكتور أحمد سيمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص ٢٣.

وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح، يتعمق فى درس أحوال الشعوب الشرقية، ولغاتها، وتاريخها وحضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية، والطبيعية[1].

ويذكر الدكتور أحمد سمايلوفتش بعد أن عرض آراء علماء الغرب: أن الباحث يستطيع أن ينتهى إلى نتائج، ذات دلالات بالغة ليفيد منها إلى تقرير الحقائق التالية:

(أولاً): أن دارس موضوع الاستشراق يجب عليه قبل كل شىء، أن يحدد مفهومه، ويحاول إيصال معناه محدداً إلى قارئيه.

(ثانياً): أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة، وأحياناً غير واضحة، إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى، لأن المستشرق قد يشارك فى أبحاثه علماء الآثار، والأصوات والاشتقاق، والحفريات، واللاهوت وما شاكل ذلك.

(ثالثا): أن المفهوم العلمى لكلمتى الاستشراق والمستشرق، قد مر بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٣م عندما كان يعنى: أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى عصرنا هذا، حيث أصبح يعنى التبحر فى إحدى لغات الشرق وآدابها، فكان هذا التبحر شرط أساسى فى عالم الاستشراق.

(رابعاً): أن كلمة الاستشراق ذات دلالتين: أولهما: أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص، وثانيهما: أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقى، على وجه العموم، فعلى هذا الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق، من لغة وآداب، وتاريخ وآثار، وفن وفلسفة وأديان وغيرها من علوم وفنون.

(خامساً): أن الاستشراق علمياً يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة.

(سادساً): أن الاستشراق، كفكرة علمية، قد نال حظاً عظيماً فى أثناء القرن الثامن عشر، حيث كان الشرق يأخذ مكانه فى أبحاثه ومؤلفاته إلى جانب الغرب

(١) جويدى: علم الشرق وتاريخ العمران، ص ١١-١٤.

فى أفق شمولى، مما يدل على أن دراسة العرب، وما يتعلق بهم، كان ولا يزال أمراً بالغ الأهمية، لعلم الاستشراق ودراساته.

(سابعاً): أن الاستشراق يطلق على الجمع، والانقطاع إلى دراسة الأنحاء المختارة من الشرق، والوقوف على قواه الروحية، وآدابه العظيمة التى أسهمت إسهاماً فعالاً فى تكوين ثقافة العالم بأسره[1].

والدكتور محمود حمدى زقزوق يرى: أن كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل غربى، يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه، ووسطه، وأدناه، فى لغاته، وآدابه وحضارته، وأديانه. والذى يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق، الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه، وتاريخه وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى الذى ينصرف إليه فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق[2].

وهناك آراء أخرى غير آراء هؤلاء العلماء الأجلاء لكننا اكتفينا بما ذكرناه من آراء، لما فيها من السعة والشمول، ولعلنا بعد هذا نخلص إلى النتائج التالية:

أولا: أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة كل ما يتعلق به من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها.

ثانياً: أن المعنى الأصلى لكلمة استشرق «صار شرقياً» وأن صيغة المستشرق علمياً تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليات الشرقية عامة والسامية خاصة.

ثالثاً: أن المستشرق عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية على الاطلاق ويجب أن يكون عالماً متخصصاً غربياً أصلاً أو انتماء.

رابعاً: أن المعنى الذى ينصرف إليه عندما يطلق لفظ مستشرق هو الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى.

وبناء على ما ذكره العلماء المتخصصون والدارسون للاستشراق يمكن القول: أن الاستشراق أصبح اسماً واسعاً، يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص ٢٦.

(٢) الدكتور محمد حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٨.

الدراسات الشرقية المختلفة[١]، ويكاد الاستشراق علماً قائماً بنفسه له أصوله وفرعه وله مقدماته.

ونتائجه يكاد يكون رجاله على رغم شتاتهم شعباً خاصاً وله أفقه الخاص به، وحياته المقصورة عليه[٢].

لكن يمكن القول: أن الاستشراق فى دراسته للإسلام ليس علماً بأى مقياس علمى وإنما هو عبارة عن «أيديولوجية» خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات قائمة معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات[٣].

والاستشراق مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماه وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير[٤].

وإذا أجرى الباحث موازنة بين آراء علماء الغرب وعلماء العربية فى الاستشراق فإنه سوف يصل إلى التقديرات التالية:

أولاً: يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علماً مستقلاً له ذاتيته وكأنه يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

ثانياً: قرر العلماء أن المستشرق لا بد له من معرفة كاملة بإحدى اللغات الشرقية وآدابها[٥].

ويبدو للباحث بعد الدراسة والاستقصاء أن للاستشراق أسباب كثيرة ودوافع متعددة نفسية وتاريخية واقتصادية وأيديولوجية ودينية وأخيراً علمية، بجانب هذا هناك أسباب ثانوية شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة فى السفر والترحال أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم[٦].

(١) إبراهيم عبدالمجيد اللبان، المستشرق والإسلام، ٥٤ ط الأزهر، ١٩٧٠م.
(٢) محمد الحومانى: المستشرقون، مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧، القاهرة.
(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٢، كتاب الأمة.
(٤) حسين الهروى، نحن والمستشرقون، مجلة المعرفة ص ٤٠، يوليو ١٩٣٣م.
(٥) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ٣٢٢ بتصرف.
(٦) المصدر السابق نفسه ص ٣٢.

وليس من الضرورى بحث تلك الدوافع والتعرف على كل هذه الأسباب لأن السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى فقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة، وجاءت حركة الإصلاح الدينى المسيحى فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لإعادة النظر فى شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت إلى الدراسات العربية والإسلامية لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوى، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديان ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية[1].

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكن لهم، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق وأقنع المبشرين زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم، وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان وهذا هو السبب فى أن الاستشراق قام أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار[2].

ولا يعرف بالضبط من هو أول غربى عنى بالدراسات الشرقية، ولا فى أى وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا فى مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى «جريريت» الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م، بعد تعلمه فى معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٦م وجيراردى كريمون ١١١٤-١١٨٧م وبعد

(١) الدكتور محمد البهى، المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٤ من حولية كلية الدعوة، العدد الثانى، ١٤٠٦هـ، مصر.
(٢) المصدر السابق ص ٣٧٥.

أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة «بادوى» العربية وأخذت الأديرة والمدارس الغربية، تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهى لغة العلم فى جميع أوروبا يومئذ واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون[١].

وليس هناك شك فى أن الانتشار السريع فى المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته[٢].

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع «فيينا» الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوروبية[٣] ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الكنسى، تدل أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل التاريخ فضلاً عن أن هناك باحثين أوروبيين[٤].

ويذكر الباحثون: أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى، بينما يرى «رودى رات» أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر أيضاً فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى[٥].

وأول استعمال لكلمة «مستشرق» ظهر فى سنة ١٦٣٠م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفى سنة ١٦٩١م وجدنا «أنتونى وود»

(١) انظر الدكتور مصطفى السباعى: الاستشراق والمستشرقون ص ١٣، ١٤، ط المكتب الإسلامى، بيروت ١٦٠٥.
(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٠.

يصف «صموئيل كلارك» بأنه «استشراقى نابه» يعنى بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية. و«بيرون» حينما يتحدث عن المستر «ثورنتون» يذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق[١].

ويذكر «رودنسون» أن كلمة مستشرق ظهرت فى اللغة الإنجليزية حوالى عام ١٧٧٩م كما دخلت كلمة «الاستشراق» على معجم الأكاديمية الفرنسية فى عام ١٨٣٨م[٢].

وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق ولم يكن المتخصصون بعد من العدد بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة فى بلد واحد.

كان أفق هؤلاء المستشرقين يشمل عديداً من المجالات بطريقة غير متوازية فى عمقها، ومن هنا بدأ تصنيفهم كمستشرقين، وشهدت فكرة الاستشراق تعمقاً كبيراً إلا أنها تعرضت كذلك لأضرار وكان الشرق يأخذ مكانه فى مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب فى أفق شمولى[٣].

ولكن المهم ليس هو متى ظهر مفهوم مستشرق أو استشراق وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية سواء بالقبول أو بالرفض، وهذا أمر موغل فى القدم، أما المصطلح ذاته فلا يعنى شيئاً أكثر من واقع، وإطلاق وصف على الدراسات التى كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة بصرف النظر عن عملية هذه الدراسات أو موضوعيتها[٤].

وعلى أية حال ـ كما يقول الدكتور زقزوق [٥] ـ فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٢) انظر مكسيم رودنسون: تراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورث ج١، ص ٧٨، ترجمة الدكتور محمد زهير السمهورى، سلسلة عالم المعرفة، بالكويت ١٩٧٨م.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص ٢٥.

(٤) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٢١.

(٥) مواليد محافظة الدقهلية عام ١٩٣٣م، أتم دراسته فى جامعة الأزهر وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميونيخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨م، وقد أصدر عدة كتب ودراسات فى الفلسفة.

والمسيحى فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته[١].

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصرانى الغربى والقرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيديولوجى، فقد كان الإسلام كما يقول: «يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة»[٢] باعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى. . وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بإلحاح العديد من الأسئلة فى هذا الصدد وذلك يقتضى معرفة الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها[٣].

ويذكر الباحثون أنه من القرن الخامس الميلادى حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كانت أوروبا تعيش فترة يسمونها «العصور الوسطى» ويعدونها عصوراً مظلمة حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية يائسة فى ظلال كنيسة متسلطة مستبدة، ولكن كان أبرز حدث فى تاريخ هذه الفترة هو تلك النافذة التى فتحت فى جنوب أوروبا الغربى تطل منه على الحضارة الإسلامية، وذلك بوصول طلائع المسلمين إلى الأندلس وإقامتهم صرح الحضارة الإسلامية فيها والتى امتدت إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى فى حوالى سبعة قرون[٤].

كانت فيها الأندلس مركزاً حضارياً فى هذا الجزء من أوروبا يشع عليها آثاره فى زحف هادىء فى معظم الأحيان ثم فى صورة هجمات قوية كادت تخترق فرنسا إلى قلب أوروبا فى أحيان أخرى[٥].

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوروبا على الشرق، وهى الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوروبا كثيراً من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم فى الحروب والبناء.

(١) انظر د. زقزوق: الإسلام والاستشراق، ص ٧٣، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون، جدة ١٤٠٥هـ.
(٢) الدكتور زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٢١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) العقاد: أثر العرب فى الحضارة الأوروبية، ص ١١٥-١١٩، دار المعارف.
(٥) عبدالعزيز القارى: المستشرقون فى الميزان، ص ٢٧٢، ط المدينة المنورة.

ولا شك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفاً عسكرياً فحسب، بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنشر معالمها فى كل بقعة تصل إليها فتغير من حياة الشعوب وأفكارهم وعقائدهم وأسلوب حياتهم.

وحاولت الكنيسة «روما» إيقاف هذا المد ففتحت محاكم التفتيش تنكل وتحرق وتقتل كل من رفع راية العصيان فى وجهها أو حاول التخلص من سيطرتها. ورغم كل هذا فإن الكنيسة عجزت عن إيقاف التيار فاضطرت إلى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى فبدأت فى الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية، وفى مقدمتها اللغة العربية[1].

فكانت طلائع المستشرقين من القس والرهبان فانكبوا على دراسة اللغة العربية، وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة فى أوروبا ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها.

وأنشىء أول مركز لدراسة اللغة العربية فى الفاتيكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويجادلون البروتستانت.

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها، ورحل آخرون إلى المشرق، وأمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى فى مدارس الأديرة والكاتدرائيات. وعمل على إنشاء كراس لهذه اللغات فى الجامعات فى أسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية، واستعين بعدد من علماء اللاهوت وبعدد من المستشرقين ممن أجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسها فى تلك المدارس ولتولى تلك الكراسى فى الجامعات[2].

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس فى أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كراسى للغات العربية والعبرية والكلدانية فى عدد من الجامعات الرئيسية فى أوروبا، وهى: جامعة باريس واكسفورد وبولونيا وجامعة الفاتيكان نفسه، مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات فى كل كرسى، وتكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكلدانية للرد على منتقدى الدين المسيحى[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) نجيب العقيقى: المستشرقون، ج١، ص ١٣٤، ط. دار المعارف.

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح، ومن بين من تبنى هذا الرأى الذى فرض نفسه بالتدرج «روجر بيون» و«رايموندلل»، وقد صادق مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م على أفكار «بيكون ولل» بشأن تعلم اللغات الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك فى جامعة باريس واكسفورد وسلمنكا[١].

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التى اتسعت رقعتها حينذاك وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر، أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية[٢]، وفى القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير[٣]، ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير «الغزو الفكرى» ويعود إلى أسباب دينية، فبعد عهد الإصلاح الدينى شعر الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر فى شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أهدافهم[٤].

وقد كثر المستشرقون فى أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسى للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغة أعرابية «ولا نقل سامية» فإن تعلم العربية كان سهلاً عليهم، ثم أن اليهود فى الأصل شرقيون فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية وعلى إدراك المشاكل

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق، الإسلام والاستشراق، ص ٧٥، ط المعرفة، جدة.
(٢) المرجع السابق ص ٧٥.
(٣) المصدر السابق ص ٧٥.
(٤) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٦٩، ٤٧٠.

الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعداً لغير اليهود، وكذلك كان اليهود الذين يسكنون فى الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التى كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمى إليها أكثر من غيرهم لجمعهم فى الأصل بين الذهن الشرقى والمسكن الغريب[1].

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام[2]، وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً فى إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية[3].

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالى يقل تأثيرهم ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك.. كسبوا مرتين:

- كسبوا أولاً: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

- وكسبوا ثانياً: تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام، وهى أهدف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى[4].

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا فى مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين فدخلوا فى هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم كما وجدوا فى الصهيونية باباً آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين[5].

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودى فى عدة شبهات:

أولاً: القول بأن المسلم معناه فى الأصل الخائن.

ثانياً: الإدعاء بأن النبى ﷺ كانت تنتابه النوب العصبية، ودليل ذلك ما كان

---

(١) الدكتور عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث، ص ٥٤٣، ملاحق ط. دار الفكر، بيروت.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٤٩.

(٤) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

(٥) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

يصيبه من الجهد خلال نزول الوحى، مع أنه ﷺ لم يعرف فى تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

ثالثاً: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من القصص واقتبس بعض أساليب التعبير التى لم تكن معروفة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفخ فى الصور، وفى أذانهم وقر. وهو إدعاء مسبوق ردده مشركوا مكة الذين قالوا: «إنما يعلمه بشر»، وقد بكتهم القرآن فقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1].

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2].

رابعاً: الإدعاء بأن محمداً ﷺ ما كان رسولاً ولا نبياً فزعم للعرب فى تجسس الأخبار والإسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها.

خامساً: أن محمداً ﷺ صادق الفراسة، نفاذاً للرجال إذا لقى أحدهم انكشف له سره وافتضحت أمامه خفايا صدره وعرف كيف يستهله ويجذبه إليه.

سادساً: ما كان من بلاغ النبى ﷺ، ورسالته لم تكن وحياً يوحى وإنما هى أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.

سابعاً: تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضى الله عنها طمعاً فى ثروتها وهى أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد فى الدنيا، ، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفاه بل جعله لعامة المسلمين بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة».

ثامناً: الزعم أنه أنشأ جمعية سرية واختار أبو بكر الصديق رضى الله عنه رئيساً لها، فجعل يروج لها ويتفانى فى نشرها فكانوا يجتمعون فى بيت الأرقم وأنهم كانوا يجتمعون سراً للصلاة، وقد حاول المستشرق «مرجليوث» تشبيههم بالماسون وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزاً منها: السلام عليك.

---

(١) سورة النمل: الآية رقم ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية رقم ٤٨.

تاسعاً: الزعم بأن النبى ﷺ نظر فى تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله، وأنه وحّد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحداً.

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة أن التوحيد هو دين جميع رسل الله وأنبيائه، وأن النصرانية واليهودية حرفتا هذه العقيدة[1].

على هذا النحو حاول الاستشراق اليهودى تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ، وهو ما أورده «مرجليوث» فى كتابه: محمد وظهور الإسلام[2].

وقد تابع «مرجليوث» على نفس الطريق فى الاستشراق اليهودى «جولد سيهر» ويعد جولد سيهر من أكبر الناقمين على الإسلام ويعد كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» مثلاً لهذا التشويه الذى حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية، والذى يمثل تزويراً فادحاً وتحريفاً خطيراً لسمعة الإسلام[3].

ويضيف «جولد سيهر» إلى مفهوم الاستشراق اليهودى **عدة شبهات:**

أولاً: القول ببشرية القرآن أى أنه ليس وحياً وأن القرآن لم يأخذ خطاً واحداً فى التعبير عن مدلول القضايا التى ساقها وأن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية.

ثانياً: أن الإسلام كان مزيجاً منتخباً من الفكر اليهودى والمسيحى.

ثالثاً: استقبال الرسول لبيت المقدس والصلاة كان استرضاءاً لليهود.

رابعا: أن قصة إبراهيم فى القرآن مفتعلة، وأنها نزلت فى المدينة إرضاء لليهود والواقع أن القرآن تحدث عن إبراهيم عليه السلام فى أكثر من موضع فى القرآن المكى وأهمها سورة إبراهيم.

خامساً: الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى.

سادساً: أن الإسلام قام على السيف.

سابعاً: الحديث النبوى من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامناً: الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع.

تاسعاً: إنكار عالمية الرسالة[4].

---

(١) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٣١١، ٣١٢، ص. دار الاعتصام.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣١٤.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٣١٤.

ولا ريب أن هذه الشبهات ليست جديدة، وقد كشف كتاب المسلمين فسادها وزيفها.

وإذا كان الأمر ـ كما عرفنا ـ من بداية الحركة الاستشراقية. فإننا نرى أن الحركة الاستشراقية انتقلت إلى مرحلة أخرى، توجهت فيها إلى دراسة الإسلام، وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار الزاحف فى ذلك الوقت[1].

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصير العمر انصرفت همم المستشرقين وعلماء الغرب إلى الغزو الفكرى[2] والتبشيرى أو تحويل المسلمين عن الإسلام.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هى الحرب الحقيقية، والغزوة الشرسة التى لا تهدف إلا إلى هدم المنشآت وتمزيق الجيوش، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحاً[3].

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، وإحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشرى[4] والإخاء الإنسانى، وما إلى ذلك من مسميات، ويرى كثيرون أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير، وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذى ولد من أجله وإن غيّر أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة[5].

أما الاستعمار فهو يرى أن المفهوم الإسلامى السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره.

---

(١) د. عبدالعظيم الديب: المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامى، عدد ٣٢٢، ص ٢٤٣، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ، الهند.

(٢) د. حسن ضياء الدين: الاستشراق، مجلة كلية الشريعة، ص ٢٦، العدد الخامس، مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

(٣) الدكتور عبدالعظيم الديب: المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامى، ص ١٤٣، عدد ٢، ٣، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(٤) د. على جريشة ومحمد شريف: أساليب الغزو، ص ٢٠، ط. دار الاعتصام.

(٥) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التى تهدف من سيطرتها على الاستشراق، الحيلولة دون تجمع المسلمين والعرب فى وحدة تقاوم الصهيونية[1].

ولقد كان الارتباط الجذرى بين التبشير والاستشراق أخذا وعطاءاً قوياً، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمى الأكاديمى بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة، وهى العقلية الشعبية.

واستخدم الاستشراق: الكتاب، والمقال فى المجلات العلمية، وكرّس التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة، أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات ودور الضيافة والملاجىء للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر للطباعة والصحافة[2].

وإذا كان الأمر ـ كما ذكرنا ـ فإنه ولا شك فى أنه كان للاستشراق صلة بحركة الاستعمار الأوربى، وبحركة التبشير المسيحى فى العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق معرفة اللغة العربية ذلك أن اللغة هى الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة أو للوصول إلى تفهم شعب عقائد شعب آخر. فالاستشراق قد نشأ فى الدول الكبيرة القوية ذات المطامع فى التوسع وفى الأرض، وفى الدول التى أصبح لها فيما بعد مستعمرات مثل: انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا، وبلجيكا، وهولندا، وروسيا[3].

وحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك، وظنوه محققاً لأهدافهم.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٢) الدكتور محمد البهى، المبشرون والمستشرقون، ص ٣٦١.

(٣) الدكتور عمر فروج: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة، ص ١٢٠.

وفى عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين وألحقوها بأخرى عام ١٨٢٠م وأصدرت «المجلة الآسيوية».

وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣م وقبل الملك أن يكون ولى أمرها، وأصدرت مجلة «الجمعية الآسيوية الملكية». وفى عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم: «الجمعية الشرقية الأمريكية». وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا[١].

ويصدر الأمريكيون فى الوقت الحاضر مجلة «شئون الشرق الأوسط»، وقد حلت محل مجلة «جمعية الدراسات الشرقية» التى كانوا يصدرونها فى أوائل هذا القرن، وآخر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون هى مجلة «العالم الإسلامى» التى أنشأها صمويل زويمر ١٩١١م وتصدر من «هارتفورد» بأمريكا، وطابعها تبشيرى سافر[٢].

وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامى» فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى، وفى اسمها أيضاً[٣].

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة، ومصدر الخطورة فى هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهى مرجع لكثير من المسلمين فى دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين[٤].

ويعتمد المستشرقون ـ فيم يعتمدون ـ على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقدوه كان سنة ١٧٨٣م، ومازالت المؤتمرات تتكرر حتى اليوم.

---

(١) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون، ص ٣٧٧.

(٢) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٧١، ط. الرياض، السعودية.

(٣) الدكتور محمد البهى: التبشير والاستشراق، ص ٣٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٨٧.

وفى العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الاغداق على المستشرقين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق والتبشير[1].

واتجه المستشرقون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية محاولين غرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية[2].

ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف التاريخ الإسلامى، وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية.

إن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب، والتفاوت إن وجد بينهم إنما هو بدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه[3].

والمستشرقون يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث، ويناقشون النصوص التشريعية، ويحللون قضايا اللغة وشخصيات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسونه من وجهة نظرهم ويطلون عليه من نافذتهم الخاصة، فيلقون عليه ظلالاً معينة تغير معالم الصورة الأصلية وفى غالب الأحيان تعطينا دراساتهم صورة غريبة مشبوهة لحضارة شرقية، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية، هذا مع أنه توفرت للمستشرقين من الإمكانات والعوامل المساعدة ما لم يتوفر لأحد خاصة عندما بسطت أوروبا نفوذها وسيطرتها الاستعمارية على منطقة العالم الإسلامى، وفتحت الأجواء فسيحة للمستشرقين والمبشرين، يتجولون فى المنطقة بحرية تامة

(١) المصدر السابق، ص ٣٧٨.
(٢) انظر: مجلد العالم الإسلامى، ١٦ مارس ١٩٥٩م، ص ١١٤، باكستان.
(٣) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون، ص ٣٧٩.

ويعبثون بمصادر الثقافة فيها، ومعالم الحضارة[1] بل ويستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التى تشكل بمجموعها صرح المكتبة الإسلامية الكبرى فينهبون المخطوطات وينقلونها إلى أوروبا، وقد اطلعت على بعض الدراسات التى ذكرت أنه بالإمكان أن نجزم أن حوالى تسعين فى المائة من المخطوطات الثمينة نهبت وانتقلت إلى مكتبات وجامعات أوروبا وأمريكا وذلك على أيدى المستشرقين الذين كانوا ينتقونها بخبرة ومعرفة دقيقتين[2].

وكان انتقال هذا التراث إلى أيدى دوائر الاستشراق واحداً من أخطر التحديات لأنه أصبح حجة لنا لا علينا وأصبح إحياؤه يجرى على النحو الذى يختاره الاستشراق لا وفق إرادتنا الخاصة[3].

ولذا أحيا المستشرقون أنواعاً معينة وأولوها اهتماماً كبيراً. منها دراسات الحلاج التى عنى بها المستشرق (ماسنيون) ودراسات عن السهروردى، وبشار، وأبو نواس، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وما يتصل بابن الراوندى، وإحياء الأغانى وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزيفه[4].

وإن أى محاولة لتصور فلسفة الاستشراق لا تعدو ما أورده الباحثون المنصفون من أنها محاولة الاستعمار الغربى لدراسة العقلية العربية الإسلامية، والنفسية العربية الإسلامية، بقصد الانتفاع بذلك فى التعامل معها، والسيطرة عليها، وتدمير مقوماتها التى أعطتها القدرة على التماسك والصمود[5].

ويخلط الاستشراق كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة، والقرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم.

---

(١) الشيخ عبدالعزيز القارى: المستشرقون فى الميزان، ص ٢٧٧، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٣) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٣٣٩ بتصرف.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٠٢.

فإسلام الكتاب والسنة يعد فى نظر مستشرق معاصر، مثل «كيلنج» إسلاماً ميتاً. أما الإسلام الحى الذى يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول[1].

ويؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية، وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على تعميق الخلاف بين السُّنَّة والشيعة، والمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ[2].

فالاستشراق فى شطريه عاملاً مع الكنيسة أو عاملاً مع الاستعمار لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدى دوره فى إثارة الشبهات وتقدم الزاد الكافى لدراسات التبشير، ومعاهد الإرساليات لإيجاد تيار زائف مضلل[3].

وكان من بين الخطط التى دُبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامى وإظهاره برغم وحدانيته فى صورة أدنى إلى الغريزة البشرية وأنه يصلح لإشباع النزاعات الدينية السطحية دون التعمق فى تهذيب الروح والخلق. وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية ويدعو إلى الخمول والكسل والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.

ولقد عاون المستشرقون فى تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات وتوسعوا فيها.

وبعد هذا الذى ذكرناه نعود إلى وقفة إنصاف لا بد منها: حيث أنه من المقطوع به أن الاستشراق من خلال هدفه ومهمته، قدم للفكر الإسلامى العربى أشياء كثيرة نافعة لا يمكن إنكارها ولا تجاهلها، ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول إن دراسات المستشرقين أدت خدمات فى مجالين:

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ١١٦.
(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ١١٦.
(٣) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى مواجهة التغريب، ص ٤٠٢.

المجال الأول:

استيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضى أحدهم فترة طويلة من عمره فى بحث واحد يتفرغ له.

المجال الثانى:

الترتيب والتنسيق فى منهج البحث والتأليف والإحصاء والفهرسة، وعنايتهم بها عناية كبيرة، وكان ذلك شيئاً جديداً على الدارسين فى الفترة التى ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القرّاء.

وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون فى العالم الإسلامى إلى هذا المنهج المنسق الذى ظهر فى دراسات المستشرقين فاستفادوا منه فى بحوثهم ودراساتهم، وأن الباحث ليعترف بهذه الخدمات التى أدتها دراسات المستشرقين[1].

ولا يفوتنا أن نذكر: أن بعض المستشرقين سلكوا منهجاً خاصاً بهم فى كثير من الأحوال، فمن جهود المستشرقين نشر الأصول العربية نشراً محرراً مصححاً بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة. إن تاريخ الطبرى وطبقات ابن سعد، وتفسير البيضاوى قد رأت النور أول ما رأت على يد مستشرقين قضوا فى تحريرها جانباً كبيراً من حياتهم، ثم أخرجوها لنا ولهم أيضاً فى حالة وافية صحيحة، وكتب المستشرقون لتلك الكتب مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب.

وبدأ المستشرقون عمل الفهارس الهجائية للكتب التى حرروها ولم نعرف نحن ذلك قبلهم[2].

وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامى لما نقلوا جانباً كبيراً من كتبنا إلى لغاتهم[3].

---

(١) الشيخ عبدالعزيز القارى: المستشرقون فى الميزان، ص ٢٧٨.

(٢) الدكتور عمر فروج: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة، ص ١٣١ من كتاب المستشرقون والإسلام، طبع الهند.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٢.

أما فيما يتعلق بفنية البحث عن أحاديث الرسول ﷺ فإن الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جليلة نقدرها حق قدرها لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المنتشرة فى مجلدات لا حصر لها. وإذا كان «مفتاح عبدالباقى»، يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية فى حوالى أربعة عشر كتاباً من كتب الحديث. فإن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى يعد فى قمة الأعمال التى قام بها المستشرقون فخدموا كل باحث أو طالب للحديث فى كتب تسعة من أمهات كتب الحديث [1] وهذا يدل على أن هناك اتجاهاً طيباً عند البعض فى الظاهر.

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص ٢٠٦ بتصرف.

التبشـــير

من معاول الهدم التى تعوّق العمل الإسلامى، وتعرقل المسيرة الإسلامية من الانتشار: «التبشير»، والتبشير: حركة دينية، سياسية، احتلالية، صليبية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية[1]، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة، فى دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب[2].

وقد اهتمت الكنيسة: بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية فى العالم الإسلامى بالذات فى القرون الأخيرة. لتقتلع الإسلام من نفوس الناس وتحل بالنصرانية محله، مما يطلق عليه عند بعضهم: حملات التنصير.

يوضح ذلك المبشر «رايد» فى قوله: «إنى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح. ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة. أنا لا أحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لى فى الإنسانية، ولولا أنى أريد ربحه إلى صفوف النصارى، لما كنت تعرضت له لأساعده»[3].

وأنت ترى من هذه المقولة التى قالها ذلك المنصر: أن التبشير حركة خطيرة، موجهة ضد الإسلام لاجتثاثه من الجذور، ولمنع انتشاره بين الناس، وإذا قرأت أقوال من يسمونهم مبشرين: تدرك أن حركة التنصير حركة معرقلة لانتشار الإسلام ومده فى المجتمعات الإنسانية، ويذكر صموئيل زويمر: «أنه لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل، أو أن ييأس ويقنط، عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية لكن يكفى جعل الإسلام يخسر مسلمين

---

(١) د. على محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق: «أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى» ص ٢٩.

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٥٩.

(٣) مصطفى الخالدى، وعمر فروخ: التبشير والاستعمار، ص ٩٢، ط: المكتبة العصرية، بيروت، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٣م.

بذبذبة بعضهم، عندما تذبذب مسلماً، وتجعل الإسلام يخسره تعتبر (تعد) ناجحاً يا أيها المبشر المسيحى، يكفى أن تذبذبه، ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا»[1].

لقد أفادت الدراسات: أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، ذلك لأن فى دينهم عامل حاسم، هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد، وبذل النفس، والدم رخيصاً فى سبيل حماية العرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين فمن المستحيل السيطرة عليهم، لأنهم قادرون دوماً ـ انطلاقاً من عقيدتهم ـ على المقاومة، ودحر الغزو الذى يقتحم بلادهم، وأنه لا بد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيف هذا المفهوم عند المسلمين، حتى يصبح مفهوماً أدبياً أو وجدانياً، وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء، بحيث تسقط خطورته واندفاعاته، وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامى، وتحويله من منطلقاته وأهدافه الأصلية حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية، وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء[2].

فأنت ترى أنه نتيجة لفشل الحروب الصليبية الصاخبة فى تحقيق أهدافها، التى تتلخص فى السيطرة على العالم الإسلامى، واستنزاف ثرواته، فقد استدار الاحتلال الغربى، وذلك باستحداث وسائل أخرى، يأتى التبشير فى مقدمتها لكونه غزواً صامتاً، يستطيع التسلل فى الظلام خلف الأقنعة والشعارات الزائفة[3].

ولما كانت خبرات الحياة ـ وبخاصة فى مجال الحرب ـ تبين أن بعض الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف النهائى لصراع ما، قد تعد أهدافاً مبدئية يلزم تحقيقها فى المراحل الأولى من ذلك الصراع، فقد عمد الاحتلال الصليبى الوثنى إلى جعل هدفه المبدئى والعاجل، هو: هدم الإسلام فى قلوب المسلمين، وإضعاف تلك الصلة القوية المعروفة، التى تربط المسلم بدينه[4].

---

(١) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى» ص: ١٣٨.

(٢) أنور الجندى: «الإسلام فى وجه التغريب» ص: ٥، ط. الأولى، دار الاعتصام، بالقاهرة.

(٣) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر»، ص:١٥٧، ط. الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٤) المصدر السابق.

يقول المبشر الفرنسى «لوشاتليه»: كنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض فى ذكر تفاصيل أعمال هذه الإرساليات (البروتستانتية) التى اشتهرت بخطتها، ووفرة الوسائل التى أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام، إن إرساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتى بنفع كثير فى البلاد الإسلامية، إذ أنها تبث الأفكار الأوروبية، إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى.

ويذكر القس الخبيث صموئيل زويمر: «أنه لنتيجة التبشير فى البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالأحرى: مزيتى تحليل، وتركيب، والأمر الذى لا مرية فيه، هو: أن حظ المنصرين من التغيير الذى أخذ يدل على عقائد الإسلام، ومبادئه الخلقية، هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغى لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد فى معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامى من قلوبهم، واعتنقوا النصرانية فى طرف خفى»[1].

ويقول القس الحاقد زويمر فى مؤتمر تبشيرى: أن التبشير قد وصل إلى أسمى غاية فى مهاجمة الإسلام، وأدى المهمة على أكملها، وانتهى إلى نتائج لم يكن أحد يحلم بها منذ الحروب الصليبية. ليس عمل التبشير إزاء الإسلام، هو: إخراج المسلمين من دينهم، ليكونوا مسيحيين، لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لا يمكن أن يكون مسيحياً مطلقاً، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة المسيحيين على استحالة ذلك، ولكن الغاية التى نرمى إليها، هى: إخراج المسلم من الإسلام فقط، ليكون إما ملحداً، أو مضطرباً، أو متشككاً فى دينه، وعندما لا يكون مسلماً، أى: لا يكون له عقيدة يدين بها، ويسترشد ضميره بمهمتها، وعندما لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم، عندها لا يكون مسيحياً ولا يهودياً، وإنما يكون ملحداً لا يؤمن إلا بالمادة، أو مضطرباً يحتقر الإسلام والمسلمين، لقد قضينا على برامج التعليم فى الأقطار الإسلامية، فأخرجنا منها القرآن، وتاريخ الإسلام، ومن ثم أخرجنا الشباب المسلم من

(١) أنور الجندى: «الإسلام فى وجه التغريب» ص: ٧١.

الوسائط التى توجد فيها العقيدة والوطنية والإخلاص والرجولة، والدفاع عن الحق. الواقع أن القضاء على الإسلام فى مدارس المسلمين هو: أكبر واسطة للتنصير، وقد جنينا منه أعظم الثمرت[1].

إن ما جاء على ألسنة قساوسة التنصير فى مؤتمراتهم التنصيرية مما نقلت بعضاً منه، ليعد من أكبر المعوقات لانتشار الإسلام، ومن أعظم الأخطار المحدقة بالمسلمين والإسلام.

وقد كانت جمعيات التبشير ومؤتمرات المنصرين، تقوم فى المجتمعات المسلمة المختلفة، وكان القس زويمر ـ رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين ـ أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية، للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وفى سنة: ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م: أذاع اقتراحه، وأبان الكيفية التى يكون بها، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث فى «ميسور» من ولاية «أكرا» فى الهند، لأن هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الإسلامية، لوجود جامعة عليكرة هناك، ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التنصير الذى ينعقد فى مدينة «مدراس» الهندية كل عشر سنوات، فأجاز عقده وأن اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتنصير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعى وبدهى.

وإذا كان الأمر خطيراً ـ كما وضح لنا ـ فإن أكبر خطوة حقيقية فى سبيل اتساع نطاق التنصير بعد الحرب العالمية الأولى تفسر ذلك الدعم المادى الخطير الذى واجهته إرساليات التنصير المختلفة فى العالم الإسلامى، وارتفاع المد التنصيرى، وبلوغه الذروة إنما ترجع إلى معاهدة «لاتيران» التى عقدتها الحكومة الإيطالية مع الفاتيكان، والمعروف أن خطوات التنصير فى العالم الإسلامى قد تلاحقت منذ مطالع القرن الثامن التى يطلق عليها فترة إنضاج الثمار، التى سيكون لها الصدارة فى مجالات القيادات السياسية والثقافية فى العالم الإسلامى كله، ولذلك حرص الاحتلال أن يبقى فى هذه المرحلة حارساً لهذه المؤسسات،

(١) المصدر السابق، ص: ٧٢.

ومدعماً لها حتى تتم مهمتها، وتركز أقدامها بحيث يصبح من المستحيل بعد ذلك إجلاؤها عن قواعدها[1].

وقد عقد مؤتمر تنصيرى فى «أدرنبرج» سنة: ١٢٢٨هـ-١٩١٠م وأعمال هذا المؤتمر لم تكن حبراً على ورق، بدليل أن المؤتمر الاحتلالى الصليبى الألمانى الذى عقد عقب مؤتمر «أدنبرج» التنصيرى، اهتم بأمر إرساليات التنصير الجرمانية، حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الاستعمارى السياسى تحول إلى مؤتمر تنصيرى دينى[2].

وقد استمدت إرساليات التنصير ولا تزال تنخر فى جسم العالم الإسلامى سنوات طويلة، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تنصيرى شهير عقد بالقدس، سنة: ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م. وفى هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة أعمال المنصرين فى العالم الإسلامى، فقال مخاطباً الحاضرين: «مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين فى المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها. لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية، ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية[3].

وإن الواقف على قضايا التنصير يجد أن هؤلاء المنصرين يختلفون بين زمن وآخر، كذلك طرق التنصير اختلفت من جيل إلى جيل، ومن قطر إلى قطر، فبينما كان التنصير فى القرن التاسع عشر مخصوصاً بأشخاص اتخذوا التنصير عملاً لهم، ثم حاولوا نشر النصرانية ببلاد المسلمين، ومحاولة تبيان فضل النصرانية على الإسلام وبإصرار على الجانب الغيبى من حياة المسيح، وجدنا زعماء التنصير فى العالم البروتستانتى بخاصة يرون أن هذا المظهر الدينى الصارخ يعرقل أعمال المنصر[4].

(١) أنور الجندى: «الإسلام فى وجه التغريب»، ص: ٧٢.

(٢) محب الدين الخطيب، وساعد اليافى: «الغارة على العالم الإسلامى»، ص: ٤٠.

(٣) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير» ص: ١٦٠-١٦١.

(٤) د. مصطفى الخالدى، د. عمر فروخ: «التبشير والاستعمار»، ص: ٥٠.

ومما يجدر بنا أن نعرفه: أنه من الواضح أن التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى هو فى حقيقته حرب صليبية، وهو امتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التى بدأها الغرب المسيحى منذ تسعة قرون[1].

وإذا كان ليس من مهمتنا أن نؤرخ لمؤتمرات التبشير والإرساليات، وليس من شأننا أن نعرض لأسماء المشاركين فيها والقائمين عليها. فحسبنا أن ندرك خطورة هذه الأعمال التنصيرية فى عرقلة نشر المد الإسلامى وآثارها المحدقة على المجتمعات الإسلامية، وعلينا أن نتبين أهداف التنصير، لنكون على بينة من المعوقات التى تهدد المسلمين وتأخذ بهم إلى طريق بعيد عن الصواب.

والباحث فى أهداف التبشير وتحويل المسلمين عن الإسلام: يجد أن التبشير يسعى لتحقيق أهداف وأغراض تنطلق من عنصرين رئيسيين هما:

١ - هدم الإسلام فى قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله، وجعلهم مسخاً لا تعرف عوامل الحياة القوية، التى لا تقوم إلا على العقيدة القويمة، والأخلاق الفاضلة.

٢ - إخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الاحتلال الصليبى، والتحكم فى مقدراته وإمكاناته[2].

وهذان العنصران الرئيسيان يضمان تحتهما مجموعة من الأهداف والأغراض، نجدها فى النقاط الآتية:

- توهين قيم الفكر العربى الإسلامى، والغض من اللغة العربية الفصحى.

- إضعاف التمسك الداخلى.

- إيجاد تخاذل روحى ومعنوى، وإيجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين بعامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للمدنية المادية.

- إضعاف العقيدة الصحيحة فى نفوس المؤمنين بها، على أساس أن الشعوب التى تنحل عقائدها القوية وتضعف، تغدو فريسة سهلة للغزو الفكرى.

---

(١) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر»، ص: ١٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٦٢.

- تقطيع أواصر الوحدة والإخاء والترابط من الأمة الإسلامية.

- السخرية والتشكيك بمختلف الجوانب التى يعتز بها المسلمون من تاريخ وتراث وقرآن وبطولات وأمجاد، والاحتقار والازدراء بالعالم الإسلامى وأممه فى المجالات المختلفة، ووصفه بالضعف والتأخر وتسميته بالأمم المتخلفة.

- تأجيج الخلافات بين الطوائف، وإثارة الفتن والقلاقل، فى المجتمعات الإسلامية.

- إفساد الخصائص الذاتية فى الشعوب الإسلامية[1].

فأنت ترى أن هذه الأهداف والأغراض تشكل مواجهة خطيرة أمام انتشار الإسلام، وقد بات واضحاً أن الاحتلال الصليبى كان يتدخل بنفوذه وسلطانه لحماية المنصرين، وتبرير إفسادهم لعقائد الناس.

وتعليمات التبشير تسير وفق مخطط رهيب رسمه المبشرون الكبار فى خبث، ومكر، ودهاء، وقد جاء فى هذا المخطط:

١ - أن طريقة التبشير فى البلاد الإسلامية تتركز فى إنشاء معاهد تسبغ على نفسها صفات المعاهد العلمية، وتتستر وراء هذا الستار[2].

٢ - إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامى، وإبعاد العناصر التى تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه، فإذا لم تنجح الدعوة إلى الخروج من الإسلام إلى دين آخر، جرى تشكيكهم فى الدين المطلق، لقد استهدف التنصير نقل المسلمين من الإسلام وخطا فى سبيل ذلك خطوات واسعة[3].

٤ - على المبشرات أن يزرن منازل المسلمين، ويجتمعن بسيداتهن.

٥ - استعانة المبشرين فى سبيل إنقاذ دعايتهم بالمستشفيات والمدارس والملاجىء.

٦ - على طبيب الإرسالية ألا ينسى ولا للحظة واحدة أنه منصر قبل كل شىء، وطبيب بعد ذلك.

---

(١) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج»، جـ:١، ص: ٢٠٩-٢١٠، ط: دار الأنصار، بالقاهرة، سنة: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) أنور الجندى: «الإسلام فى مواجهة التغريب»، ص: ٨٢.

(٣) المصدر السابق: ص: ٨٢.

٧ - استغلال فرصة المرض، وبخاصة فى البلدان المسلمة الفقيرة التى تنتشر فيها الأمراض، كمرض الجذام وغيره، والسيطرة على المريض، وانتهاز فرصة الضعف والحاجة، وعدم القدرة على التفهم، والاقتناع، والدس للعقل الباطن بالإيحاء[١].

٨ - على المنصرين أن يتلونوا لتحقيق هدفهم التنصيرى. يجب أن يظلوا برءاء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم - أيضاً - أن يكونوا حكماء كالحيات[٢].

٩ - تجنيد جيوش كثيفة من المبشرين، يدفع بها إلى أوطان المسلمين[٣].

١٠ - العمل على تفريق المجتمعات المسلمة، وتقسيمها، وتمزيقها، كما هو الحال فى لبنان وجنوب السودان.

ومما يلحظه الباحث: أن المبشرين اتخذوا للتبشير بين المسلمين وسائل عديدة شملت كل نواحى التأثير فى الإنسان، مما يجعل التنصير أكبر معوق لانتشار الإسلام. ومن أهم هذه الأمور:

أولا: المدارس التبشيرية، والإرساليات التعليمية:

فقد دأب التبشير فى البلاد الإسلامية على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات، وجاء فى قرارات المؤتمرات التبشيرية فى مجال التعليم: أنه فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهاً نحو النشء الصغير من المسلمين، وموزعاً فيما بينهم ليحيط بهم، وليكونوا منه على صلة مباشرة، ويجب أن يقدم هذا على سواه فى الأقطار المسلمة[٤].

ومخطط التبشير يرمى فى مجال التعليم والثقافة إلى إنشاء رياض الأطفال والمدارس العامة والفنية المتخصصة، وإنشاء الجامعات والكليات وإنشاء كوادر مؤهلة علمياً، لتتولى أخطر المناصب فى البلاد[٥].

---

(١) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج» جـ١، ص: ٢١٠.

(٢) د. مصطفى الخالدى، د. عمر فروخ: «التبشير والاستعمار»، ص: ٥٢. وهذا الكلام للمنصر: «تشارلس واطسون».

(٣) عبدالكريم يونس الخطيب: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٣٥.

(٤) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج»، جـ١، ص: ٢١٤.

(٥) أنور الجندى: «تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة»، ص: ٢٧.

والتعليم فى مدارس الإرساليات النصرانية واسطة إلى غاية، تتحقق بإبعاد المسلمين عن الإسلام. ولقد برهن التعليم التنصيرى على أنه من أعظم الوسائل التى استطاع المنصرون اللجوء إليها.

ومما يجدر ذكره: أن المبشرين يهتمون بالمدارس ذات القسم الداخلى، وبخاصة للبنات، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات، إذ يؤدى ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التنصير مباشرة[1].

والباحث يرى أن تأثير التبشير فى مجال التعليم قائم على طريقين:

١ - التأثير فى برامج المدارس الحكومية، وتوجيهها عن طريق النفوذ الاستعمارى الصليبى، الذى غزا المجتمعات فكرياً وسياسياً.

٢ - برامج المدارس والمعاهد والجامعات التابعة للمبشرين أنفسهم، فعن طريق التعليم اتخذ التنصير وسيلة إلى تغيير المفاهيم الأساسية، والقيم[2].

ولعلنا ندرك أن المدارس التبشيرية من أخطر الأساليب التنصيرية فتكاً بالمجتمع المسلم، وأكثر إبعاداً للإسلام من نفوس المتعلمين، لما لها من تأثير. وقد عانت بعض المجتمعات المسلمة من هذه المدارس، وممن تخرجوا فيها، ولا زالت تعانى من شدة التأثير.

ثانيا: التطبيب:

التطبيب موضوع إنسانى كان يمكن أن يكون بمنأى عن الأغراض. ولكن النصرانية تستغل مثل هذه الأمور، فتدخل على الناس من أبوابها.

من أجل ذلك عنى المنصرون أول ما عنوا بالتطبيب، على أنه واسطة إلى غاية. إن اليسوعيين مثلاً أسسوا أكثر أعمالهم التبشيرية فى سورية إلى جانب مراكز التطبيب، بل أن مراكز التنصير قد بدأت عندهم مراكزللتطبيب فى أول الأمر. وفى هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين، وإلى الأعيان، وكانوا يستغلونهم من هذا الطريق لمصالح تنصيرية بحتة. ومع الأيام أخذت عناية

(١) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر»، ص: ١٦٦.
(٢) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج»، جـ١، ص: ٢٠٩.

اليسوعيين بالتطبيب تقل، وقيامهم بالتنصير يزيد، حتى حل التنصير المحض محل التطبيب الذى كان رياء للناس[1].

وكان المنصرون يعلنون ذلك ولا يكتمونه. فقال قال: «رشتر»: «فى هذه المناسبات من التطبيب فى مستوصف أو مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه فى مكان غير المستشفى، ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظاً وغضباً»[2].

أما حين تمتزج الصفاقة بالتدجيل، ويمتزج الجهل بموت الضمير، فإنك ترى ذلك واضحاً فيما قالته المنصرة «ايراهاريس» تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تنصيرية: «يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم، فتكرز[3] لهم بالإنجيل. إياك أن تضيع التطبيب فى المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: أن واجبك التطبيب فقط، لا التبشير، فلا تسمع منه»[4].

فالعلاج الطبى يعد واحداً من أخطر وسائل التنصير، لذا تحرص مؤتمرات التنصير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبى فى التنصير. ومن تلك التوصيات والقرارات: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية، لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين[5].

ومما يلحظ أن المستوصفات الطبية، والمستشفيات من أكثر المنشآت اهتماماً من جانب المنصرين. والمنصرون لا يرحبون بإنشاء مستشفيات وطنية فى مناطق عملهم، لأن ذلك يقلل من احتكاكهم بالمسلمين، واحتكارهم لهذه المهمة. وللمنصرين أساليب مختلفة فى مستشفيات المدن وفى الأدغال، والفيافى، وفى البيوت والقرى.

---

(١) د. مصطفى الخالدى: «التبشير والاستعمار»، ص: ٦١.

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٢ بتصرف.

(٣) فتكرز: مأخوذ من الكرازة، وهو: تعبير مسيحى، معناه: إلقاء النصائح على الآتين إلى الكنيسة. د. مصطفى الخالدى: «التبشير والاستعمار»، ص: ٦١، الهامش.

(٤) د. مصطفى الخالدى: «التبشير والاستعمار»، ص: ٦٢-٦٣.

(٥) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير» ص: ١٨٠.

ومما تأكد لدى الدارسين: أن مستشفيات التنصير كانت تقام فيها الصلوات المسيحية فى كافة عنابر المرضى فى الصباح والمساء، وتلقى المحاضرات بالفانوس السحرى. ويقوم موظفون أخصائيون فى التنصير بزيارة كل مريض فى مكانه، وتتوالى الزيارات بعد الشفاء فى المنازل[1]، ولم ينس المنصرون مقام المرأة فى الأسرة، فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها، وصاروا ينصرون فى مستشفيات النساء، وفى المستوصفات وكذلك أرسلوا الطبيبات المنصرات إلى البيوت والقرى، للاتصال مباشرة بالنساء، واستخدام نفوذ المرأة فى الوصول إلى أهدافهم التى يزعمون أنها نبيلة، ولقد استغل المنصرون كل شىء فى سبيل التنصير، أو محاولة التنصير حتى الممرضات. ويرى المنصرون: أن الممرضة لاتعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط، بل تحمل إليهم ـ أيضاً ـ رسالة المسيح، ولذلك حرص المنصرون على إنشاء مدارس للتمريض فى إيران خاصة[2].

وهكذا كما ترى حوّل المنصرون الطب ـ وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية ـ إلى وسيلة للانقضاض على الإسلام والمسلمين، والحد من انتشار الإسلام.

ثالثا: الأعمال الاجتماعية:

ومن الأعمال التى يستغلها التبشير ويجعلها من أساليبه: «الأعمال الاجتماعية»، والأعمال الاجتماعية، هى: المناسبات التى تربط بعض البشر ببعضهم عرضا، أو تتيح لبعض الناس أن يعرفوا الآخرين، مثل: الحفلات الرياضية، والخطابية، والأندية الأدبية والسياسية، وأعمال البر والإحسان[3]، وما جرى مجرى ذلك.

وقد فطن المنصرون إلى أهمية هذه الأمور، فاستغلوها كأسلوب من أساليب التنصير. جاء فى كتاب اسمه (مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين): نحن نعنى بالعمل الاجتماعى المسيحى تطبيق مبادىء يسوع المسيح فى جميع الصلات الإنسانية. إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية فى

(١) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج»، جـ١، ص: ٢٠٩.
(٢) د. مصطفى الخالدى: «التبشير والاستعمار»، ص: ٦٤.
(٣) المصدر السابق، ص: ١٩١.

البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية. فالنشاط الاجتماعى يجب أن يوافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه، فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التى تتصل بالطفل والمرأة، ثم نتوسع فى تلك الصلات، حتى نبلغ إلى المبادىء الواسعة التى أقرتها عصبة الأمم المتحدة[1].

وكان المنصرون يوجهون نصائحهم للقائمين بالعمل التنصيرى بالسير فى الأعمال الاجتماعية على الأسس الآتية:

- إيجاد بيوت للرجال والنساء، وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن.
- إيجاد أندية للاعتناء بالتعليم الرياضى، وأعمال الترفيه.
- حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال.
- التعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية.
- إصلاح الأحداث.
- الحيلولة دون زواج المسلمين البكر[2].

وهكذا يحاول المنصرون بكل وسيلة انتهاز كل مناسبة اجتماعية، ليدخلوا منها، أو يظهروا فيها.

رابعا: الهيمنة والتأثير على البعثات:

من أخطر وسائل التنصير وأشدها ضراوة على الإسلام والمسلمين: الهيمنة والتأثير على البعثات المبتعثة من البلاد المسلمة إلى الدول النصرانية الغربية، والمراجعة الفاحصة للدراسات التى تتصل بالتنصير، تكشف لنا أن التنصير أو ما يسمونه بالتبشير نجح فى اصطفاء بعض من يتخرجون من معاهده وجامعاته، أو من بعثاته فى أوروبا وأمريكا... وقد أتيح لهؤلاء أن يتولوا بعد عودتهم مناصب رئيسية فى وزارات التربية والتعليم والمعارف، فاستطاعوا أن يساندوا التنصير، وأن يؤثروا فى المناهج والمؤلفات والصحف[3].

(١) نقلاً من كتاب: «التبشير والاستعمار»، ص: ١٩١-١٩٢، وانظر كذلك: أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير»، ص: ١٨٢.

(٢) أحمد عبدالوهاب: «حقيقة التبشير»، ص: ١٨٣.

(٣) أنور الجندى: «مقدمات العلوم والمناهج»، جـ١، ص: ٢٠٤.

وقد نجحت هذه العناصر التى أعدها التنصير فى استغلال مناصبها فى الأجهزة المختلفة، لغرض دس مفاهيم غير إسلامية، وتبنى وجهات نظر معادية للإسلام، والابتعاد عن التشريع الإسلامى.

ولا يخفى أن هناك وسائل أخرى يستخدمها المنصرون فى أعمالهم التى يقومون بها. وإذا بحثت بعمق عن الحقول الفكرية والاجتماعية التى يركز عليها التنصير، وجدت أنها:

١ - المدارس والمعاهد والكليات على اختلاف مستوياتها واختصاصاتها.

٢ - الأندية وقاعات المحاضرات، وسائر مراكز التوجيه الثقافى الخاصة أو العامة.

٣ - الجمعيات العلمية والثقافية والأدبية والفنية والأنشطة الرياضية.

٤ - الكتب والمجلات والصحف والنشرات الدورية.

٥ - وسائل الإعلام المختلفة: السمعية والبصرية السمعية.

٦ - الأحزاب والهيئات السياسية والاجتماعية.

٧ - المراكز الصحية على اختلاف مستوياتها وأنواعها.

٨ - المعامل والمؤسسات التجارية والصناعية والإدارية وغيرها[١].

وبكل هذه الوسائل والأساليب، وفى كل المواقع حارب المنصرون انتشار الإسلام بالخطط الماكرة، وبالأعمال الدائبة، فكان التنصير سبباً خطيراً من الأسباب والمعوقات التى تحارب الإسلام، وتقدم المسلمين وذلك بما كان من:

- إثارة الشبهات حول القرآن الكريم، والسنةالنبوية المطهرة وأحكام الإسلام، وتشريعاته ومبادئه.

- دس الأفكار الفاسدة، وإغراء بعض ضعفاء النفوس أو ضعفاء العقول من المسلمين باعتناقها على أنها من تعاليم الإسلام ومفاهيمه.

- اختلاق الأكاذيب والافتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين وتشويه غاية الفتوحات الإسلامية.

---

(١) عبدالرحمن حسن حبنكة: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٥٠٢، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- مقابلة بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية والازدراء، ووصف المتمسكين بها بالرجعية والتخلف والتآمر والتعصب والجمود، ونحو ذلك من العبارات التى تضعف حماس المسلمين المتمسكين بدينهم.

- احتقار العلماء، وتقديم الجهلة المنحرفين إلى مراكز الصدارة، ليعطوا صورة سيئة عن الإسلام والسلوك السليم[1].

فالتبشير من أخطر الحروب والمعوقات التى تواجه الأمة المسلمة وانتشار الإسلام، كانت بدايته مع نهاية الحروب الصليبية، وقد بقى للتنصير حتى اليوم «تكتيكه» أو وسائله، وبقيت له «أيديولوجيته» أو فكرته، ولئن جاء التنصير بديلاً عن الحروب الصليبية، فقد كان ذلك بصفة عامة، لكن الحروب الصليبية لم تنته تماما[2].

(١) المصدر السابق، ص: ٥٠٧.

(٢) د. على جريشة: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ١٨٧.

الصهيـــونيـــة

إن المتتبع للحركات الفكرية والتيارات الهدامة فى المجتمع الإنسانى يجد أنه ما من حركة هدامة أو تيار إلحادى، إلا وراءه الصهيونية، ومن هنا كان علينا أن نعرض للصهيونية، وأن نتعرف عليها ونستبين أخطارها على الإنسانية والإسلام.

والصهيونية كحركة سياسية تهدف إلى جمع اليهود، ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين، لتأسيس دولة يهودية فيها، تدين بالدين اليهودى، وتتميز بالعنصر اليهودى، والثقافة اليهودية، وبإرادة بعث مملكة داود[1].

أما الصهيونية كحركة دينية فكرية، أو تمدنية شاملة، تهدف إلى تمكين العنصر اليهودى من أداء رسالته، وتفهم هذه الرسالة. كتملك لأرض الميعاد، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية فى صهيون[2].

والصهيونية اشتقت من اسم جبل صهيون فى القدس، إذ تطمع الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها[3].

وإذا كانت الصهيونية تنسب إلى جبل صهيون، فهو أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة القدس العاصمة الروحية لليهود. وقد أضفت التوراة هالة من القداسة على جبل صهيون بخاصة، ففيه يقيم «يهوة» إله اليهود - فيما يزعمون - وفى رحابه يظهر المسيح المخلص، الذى ينتظره اليهود، بشيراً بغفران الله - سبحانه وتعالى - وتوبته عليهم، وخلاصهم مما يقاسون من بأس وإعنات. بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصى التى ظلوا عاكفين عليها لآماد طوال، ومن

---

(١) د. اسماعيل راجى الفاروقى: «أصول الصهيونية فى الدين اليهودى»، ص: ٧، ط: مكتبة وهبة، بالقاهرة، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) د. اسماعيل راجى الفاروقى: «أصول الصهيونية فى الدين اليهودى»، ص: ٧٠.

(٣) الندوة العالمية للشباب المسلم، الموسوعة الميسرة، ص: ٣٣١، فتحى الأبيارى، الصهيونية، ص: ٦، ط: دار المعارف، بمصر سنة: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

ثم فقد استطارت شهرة صهيون، وسمت مكانته لدى اليهود، حتى عدا رمزاً لمنطقة أورشليم المقدسة[١].

وقد ورد ذكر صهيون فى التوراة - العهد القديم - فى مواقع كثيرة، منها:

- «وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ داود حصن صهيون»[٢].

- «أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى»[٣].

- «غنوا للرب الساكن فى صهيون، لأنه مطالب بالدماء»[٤].

- «إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده، لكى يحدث فى صهيون اسم الرب وبتسبيحه فى أورشليم»[٥].

- «لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مكاناً له»[٦].

- «لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة (الرب)»[٧].

- طوبى لجميع منتظريه. لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم[٨].

وإذا كانت الصهيونية منسوبة إلى «صهيون» فى بيت المقدس فإننا حين نقول الصهيونية العالمية نعنى: شيئاً آخر أقدم من هذه النسبة، نعنى بذلك: الخلق الذميم الذى تأصل فى طائفة من العبريين منذ أقدم العصور[٩].

والصهيونية العالمية حقيقة واقعة، هى قوة موجودة بأعمالها وآثارها، موجودة بدعاياتها وأخبارها، موجودة بمقاصدها وغاياتها[١٠].

---

(١) عبدالسميع الهروى: «الصهيونية بين الدين والسياسة»، ص: ٢٥، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٢) صموئيل الثانى، اصحاح (٥).

(٣) مزامير، اصحاح (٢).

(٤) مزامير، اصحاح (٩)، فقرة (١١).

(٥) مزامير، اصحاح (١٠٢).

(٦) مزامير، اصحاح (١٣٢).

(٧) أشعيا، اصحاح (٢).

(٨) أشعيا، اصحاح (٣٠).

(٩) عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، المجلد: الرابع عشر، ص: ٩٨، ط: دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

(١٠) المصدر السابق، ص ٤٩.

والصهيونيون موجودون فى أوطان متعددة، ولهم فى اصطلاح العصر الحديث طابور خامس فى كل دولة، ولهم وسائلهم التى لا تتورع عن شىء من ضروب الرشوة، وإرضاء الأهواء والشهوات، وهم متعصبون مخربون فى كل مكان، لا يجمعهم حب بعضهم لبعض، ولكن تجمعهم كراهية الآخرين، كما يجمعهم الحقد على العالم[١].

وقد اختلف المؤرخون فى نشأة الحركة الصهيونية اختلافاً واضحاً:

١ - فمن هؤلاء من يرى: أن الفكرة الصهيونية قديمة قدم الدين اليهودى[٢]، إذ «أن اليهودية دين عرف منذ نيف وثلاثين قرناً من الزمان أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود، غير أن اليهودية ليست كسائر الأديان، فهى لا تعبر عن طائفة دينية فحسب، وإنما تعبر - أيضاً - عن حركة سياسية، امتدت أصولها منذ أن أزال الرومان مملكة «يهوذا» من خريطة الوجود. ومن ثم كان ارتباط اليهود بالصهيونية منذ ذلك التاريخ صنوين. بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر، وأصبحتا تمثلان وجهين لعملة واحدة. وقد حرص اليهود منذ البداية ألا يكشفوا عن نواياهم الحقيقية، بل حاولوا ليخلقوا على إعلان الحركة الصهيونية وأهدافها ثوباً إنسانياً عاماً»[٣].

وزعماء الصهاينة يقولون: «مادامت التوراة أم الكتب موجودة، وما دام للتوراة شعب موجود، فلا ينبغى أن يكون للتوراة بلاد أيضاً»[٤].

وحاولت الصهيونية - بعملية تزوير - أن تثبت تاريخاً لميلادها، وأن تعده قديماً قدم العالم، ويقترح «نورمان بتفتشى» تاريخاً لولادة الصهيونية، فيجعله من تاريخ سبى اليهود وأسرهم فى القرن السادس قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس فالصهيونية واليهودية شىء واحد، وليس من فوق بين دين وحركة[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٦٩.

(٢) محمد موسى محمد البر: «نشأة الصهيونية العالمية» مجلة (الجندى المسلم)، السنة العاشرة، العدد: ٢٧، ص:٢٦.

(٣) عمر رشدى: «الصهيونية وربيبتها إسرائيل»، ص: ١٩.

(٤) عبدالرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، ص: ١٠٩، ط: منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٥) المصدر السابق، ص: ١٠٩.

٢ - ومن الكتّاب من يرى: أن الفكرة الصهيونية بدأت أعمالها المنظمة فى العصر الحديث، عندما بدأت تضغط على الدول الغربية. وقد قامت بنشاط واسع بين الساسة فى بريطانيا وفرنسا[١].

ويشير الباحثون: إلى أن الصهيونية الحديثة تنسب إلى «تيودور هرتزل» الصحفى اليهودى النمساوى، وهدفها الأساسى الواضح: قيادة اليهود إلى حكم العالم. وقد أقام «هرتزل» أول مؤتمر صهيونى عالمى، سنة: ١٣١٥هـ-١٨٩٧م. ونجح فى تجميع يهود العالم حوله، كما نجح فى جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات فى تاريخ العالم، وهى: «بروتوكولات حكماء صهيون»، المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرّفة التى يقدسونها. ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم، وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء وخبث، لتحقيق أهدافهم التدميرية[٢].

وأن الباحث فى الصهيونية العالمية يجد لها جذوراً تاريخية، فكرية وسياسية كثيرة[٣]، ليس من شأنى تتبعها، أو العرض لها، فإن الذى يهمنى ما ذكرته.

أما عن المكان الذى نشأت فيه الحركة الصهيونية، فإنه مع انتهاء الحرب العالمية تصبح «بولونيا» واحداً من أهم المراكز الصهيونية العالمية[٤]، إذ نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا، وباقى دول أوروبا الشرقية خلال القرن التاسع عشر، حيث تعيش آنذاك أكثرية اليهود فى العالم، وتعود أسباب نشوئها إلى عوامل عديدة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، ودينية. منها ما يتعلق بأوضاع اليهود واليهودية فى خلال تلك الفترة التى كانت بحد ذاتها تتمة لما سبقها وما يتعلق بالأوضاع العامة بالبلدان التى كان اليهود يعيشون فيها،

---

(١) محمد مصباح حمدان: «الاستعمار والصهيونية»، ص: ١١٥، ط: الهيئة القومية، بمصر، سنة: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٢) الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة، ص: ٣٣٢.

(٣) انظر ذلك فى: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: ٣٣١-٣٣٢، فإن بها أكثر من أحد عشر جذراً تاريخياً وسياسياً.

(٤) محمد موسى البر «نشأة الصهيونية العالمية»، مجلة: (الجندى المسلم)، السنة العاشرة، العدد ٢٧، ص: ٢٨.

والتغييرات التى حدثت فى أوروبا وروسيا، وبخاصة فى خلال القرنين: الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين[١].

وجملة ما يقال: أنه لم تكن الصهيونية من حيث الأسباب أو تاريخ الظهور، إلا إحدى مشتقات المسألة اليهودية: التى أوجدها حكام وشعوب قسم من الدول المذكورة، بينما ساهم القسم الآخر بمساعدة بعض الفئات اليهودية - أحياناً - فى بقائها حية أو دعمها[٢].

والصهيونية العالمية السياسية كان لها جذور فى روسيا. وروسيا تقع الأجزاء الغربية منها بخاصة فى شرق أوروبا[٣].

فالصهيونية الحديثة حركة أوروبية شرقية فى أصولها، لا لمجرد أن معظم زعمائها جاءوا من تلك المنطقة. حيث تتجمع الغالبية العظمى من يهود أوروبا، بل هناك سببان آخران:

الأول: هو حساسة يهود أوروبا الشرقية، خصوصاً تجاه اللاسامية التى قامت على أساس الإجحاف العام الذى عززته بشكل نشيط - أيضاً - أنظمة الحكم، للتخلص من النقمة عليها.

الثانى: هو حجم الصهيونية فى صفوف يهود أوروبا الشرقية بخاصة، وتنظيمها الداخلى[٤].

والصهيونية هى الواجهة السياسية لليهودية العالمية، التى تسعى لعرقلة الإسلام وتقويضه، كما وصفها اليهود أنفسهم، مثل الإله الهندى «فشنو» الذى له مائة يد - كما يزعمون - فهى لها فى معظم الأجهزة الحكومية فى العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صبرى جرجس: «تاريخ الصهيونية»، ص: ٣٢. ط: دار الفكر العربى، بيروت، سنة: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٣) د. هـ. جانس: «الصهيونية وإسرائيل وآسيا»، ص: ٤٩، ترجمة: رشيد حمد، ط: الكويت، سنة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠، مجلة: (الجندى المسلم)، فى العدد السابع والعشرون، ص: ٢٨.

(٥) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: ٣٣٧.

وللصهيونية مئات الجمعيات فى أوروبا وأمريكا، وفى مختلف المجالات التى تبدو متناقضة فى الظاهر، ولكنها كلها تعمل فى الواقع لمصلحة اليهودية العالمية[1].

والصهيونية مذهب دينى احتلالى مستبد متطرف حاقد، يتمذهب به غلاة اليهودية. فحواها: السيطرة السياسية الجامحة، والغرور العنصرى الغشوم، والتعصب الدينى الجانح الممقوت. قد شط بها التعصب، حتى جاوزت كل خيال فى الجموح والغلو، فهى ترمى إلى تقويض النظم السياسية للمجتمع الدولى بأسره، وإخضاعه لنير اليهود، وحكم آل داود المباشر واصطناع شعوبه رقيقاً منكر الإنسانية، مغموط الحقوق، ثم بسط السلطان الروحى للدين اليهودى على شعوب الأرض طراً من دون سائر الأديان سماوية كانت أم وضعية، وسبيلها إلى أهدافها، البطش الدموى والإرهاب الفكرى والاجتماعى، وإهدار القيم الإنسانية جميعاً[2].

ومبنى النظرية الصهيونية: الإيمان بما تردد التوراة المحرفة من أن الله قد استخلف اليهود فى الأرض، وأورثهم أقطارها وشعوبها حقاً مقدساً مقضياً، وأن الدول والحكومات القائمة كافة دعية مغتصبة، وأن على اليهود المجاهدة لاقتضاء حقهم الهضيم فى فلسطين - كما يتوهمون - أرض الميعاد تحت إمرة حاكم من نسل داود[3].

وإذا تتبع الباحث تطور التاريخ وألقى الأضواء على مخططات الصهيونية منذ القدم حتى الآن، لوجد أن الصهيونية تحاول أن تقضى على الأديان الأخرى بكل الوسائل، وهناك عداوة قديمة متأصلة بين اليهود والنصارى تبنى على: اعتقاد بأن المسيح - عليه السلام - ولم يكن يهودياً منهم، بدأت حربهم ضده، وضد ديانته[4]، وما عداوة الصهاينة للنصرانية إلا جزء من عداوتهم للأديان جميعاً بما

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٣٧.

(٢) عبدالسميع الهراوى: «الصهيونية بين الدين والسياسة»، ص: ٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص: ٢٥-٢٦ بتصرف.

(٤) فتحى الإبيارى: «الصهيونية»، ص: ٤٨.

فيها الإسلام. والتلمود[١]، وبروتوكولات حكماء صهيون يزخران بآلاف الأمثلة، وكلها تحض اليهود على كراهية ومقت غير اليهود، وتغريهم بقتلهم وغشهم وخداعهم[٢].

وقد أكدت بروتوكولات حكماء صهيون نظرية التفوق العنصرى لليهود، وأن هذا العالم لم يخلق إلا لليهود، وأن ما سواهم مخلوقات نجسة، ليقيموا عليه وفيه مملكة يهودية تحكم العالم[٣].

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن الصهيونية تعتمد - بجانب ما لليهود من كتب مقدسة «محرفة» - على بروتوكولات[٤] حكماء صهيون، وقد كانت هذه البروتوكولات مودعة فى مخابىء سرية، ولا يعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء فيها بهدوء، وحسب تخطيط منظم، ثم حدث اجتماع بين امرأة نصرانية فرنسية، وبين زعيم صهيونى كبير فى وكر الماسونية فى باريس، ورأت هذه المرأة بطريق الصدفة[٥] - هذه القرارات فعرفت محتوياتها، وأخذت بعضها وفرّت بها، وكان هذا فى سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م[٦]، ثم ظهرت هذه الوثائق فى روسيا، إذ نشرها «سرجين نيلوس» باللغة الروسية، وبعد اكتشاف سرقة هذه الوثائق أعلن اليهودى الحاقد المتعصب

---

(١) كلمة «تلمود» معناها بالعبرية: «تعليم»، وهى: مجموعة الشرائع اليهودية التى نقلت شفوياً، مقرونة بتفاسير رجال الدين - كما يزعمون - وهو أحد كتب اليهود الدينية: وهو عبارة عن موسوعة تتضمن: الدين والشريعة والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية، وقد بدأ تدوين التلمود فى القرن الخامس الميلادى: ويوجد تلمودان هما: التلمود البابلى، والتلمود الأورشليمى، والتلمود هو: أول محاولة من جانب حاخامات اليهود لتفسير العهد القديم بما يتناسب مع وضع اليهود الجديد.

- عمر رشدى: «الصهيونية وربيبتها إسرائيل»، ص: ٢٤ (الهامش) وانظر كذلك: عبدالوهاب المسيرى: «موسوعة المفاهيم والاصطلاحات الصهيونية»: ص ١٤١-١٤٢.

- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة جـ١، ص: ٥٤٣.

(٢) فتحى الأبيارى: «الصهيونية»، ص: ٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص: ٥١.

(٤) معنى «بروتوكولات»: قرارات، أو محاضر جلسات، ويغلب على الظن أنها: القرارات السرية لمؤتمر اليهود فى بابل بسويسرا، سنة: ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.

- أحمد بشير: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٨٨.

(٥) يشيع التعبير بالصدفة، والأولى أن يقال: بالقدر.

(٦) أحمد بشير: «الغزو الفكرى» ص: ٤٨٨-٤٨٩.

«تيودور هرتزل» أنه قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية، التى قصد إخفائها على غير أصحابها.

وقد أعاد «نيلوس» نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ونفذت هذه الطبعة بسرعة غريبة، وبوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبعت سنة: ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، فنفذت على هذا النحو، ولما طبعت سنة: ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م صادرها الشيوعيون، وكان معظمهم من اليهود الصرحاء، أو المستورين، أو من صنائعهم[١].

وتسابقت الأمم إلى ترجمة البروتوكولات، فترجمت إلى الفرنسية والبولونية والإيطالية والسويسرية، وغيرها من اللغات، كما ترجمت إلى الإنجليزية فى أمريكا.. أما اليابان والبلدان الأخرى فى آسيا فقد ترجمت إلى لغاتها.. أما بلدان العالم الإسلامى والعالم العربى وإفريقيا، فلم يطلع عليها من أبنائها إلا قليل فى الترجمات التى صدرت بلغاتها، وذلك لشيوع الأمية والجهل، وسطوة الاحتلال والوثنية[٢].

وأخيراً ترجمت البروتوكولات إلى اللغة العربية، وتوالت الطبعات ويقال: إن أول ترجمة عربية ظهرت سنة: ١٣٧٠هـ-١٩٥١م[٣].

والبروتوكولات، هى: الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم أمر حقيقى ثابت، وأن زعماء الصهيونية يكونون مجلس «سانهدرين الأعلى» الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم كافة[٤].

ولا مانع من عرض بعض المقررات السرية لمؤتمر «بال» والتى سميت «ببروتوكولات حكماء صهيون»:

---

(١) خليفة التونسى: «الخطر اليهودى «بروتوكولات حكماء صهيون»، ص: ٤١-٤٨، ط: المكتب العربى، بيروت.
(٢) أحمد عبدالغفور عطار: «مؤامرة الصهيونية على العالم»، ص: ١٤٩-١٥٠، ط: دار العلم للملايين، بيروت.
(٣) عبد الله التل: «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية»، ص: ١٦٦، ط: المكتب الإسلامى، بيروت سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٤) عبد الله التل: «خطر اليهودية العالمية»، ص: ١٦٥.

- إن جواز المرور لدينا، هو: القوة والكذب والإدعاء، إن حقنا فى قوتنا: لا عيب، ولا عار فى أن تكون جاسوساً أو جساساً أو مخرباً، بل هذه فضيلة.

- لقد عبثت أيدينا فى التشريعات، وفى سن القوانين وتنفيذها، وتدخلنا فى شئون الانتخابات، وفى الصحافة، وأداة النشر، وفى توجيهها والسيطرة عليها.

- يجب أن يكون واضحاً تماماً لنا - نحن اليهود - مدى ذلك الانحلال والتفكك الخطير الذى تنشره الشيوعية فى أذهان «الجوييم»[1]، أى: الشعوب الكافرة غير اليهودية.

- إن الحاجة اليومية إلى الخبز تضطر «الجوييم» إلى السكوت والرضوخ والرضا، وإلى أن يكونوا خدماً لنا، أذلاء خاضعين فى استسلام.

- إن خطباءنا سيباشرون مهمة تفسير المشكلات الكبرى وتأويلها حسب هوانا، تلك المشكلات التى قلبت الإنسانية رأساً على عقب، تأويلاً تخضع معه الإنسانية إلى حكمنا الصالح المتسامح.

- الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام واقعة تحت سيطرتنا، والأدب والصحافة قوتان فى طليعة القوى التوجيهية المهمة، وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف.

- لقد حفرنا هوة سحيقة بين السلطات الحاكمة البصيرة، وبين قوى الشعب العمياء، ففقد الإثنان بذلك معنى وجودهما، وصار كالأعمى وعصاته، لا يساوى كل منهما شيئاً على انفراد.

- إن قوتنا إنما هى فى سوء التغذية المزمن لأجسام «الجوييم» وفى ضعفهم البدنى الدائم.

---

(١) الجوييم: صيغة جمع للكلمة العبرية «جوى»، وتعنى: شعب أو قوم، استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية، دون سواها، ومن هنا كان المصطلح العربى «الأغيار»، وقد اكتسبت الكلمة - فيما بعد - إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها: الغريب والأغيار: درجات، أدناها: الأكوام، أو عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها: أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان «أى: المسيحيون والمسلمون»، وتقسيم العالم إلى يهود وأغيار، يضع اليهودى فوق التاريخ وخارجه مما يجعله يرى كل شىء على أنه مؤامرة موجهة ضده.
- عبدالوهاب المسيرى: «موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية»، ص: ٧٨-٧٩.

- لقد خدعنا الجيل الناشىء من «الجوييم» وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات، معروف لدينا زيفها التام.

- يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وتكون النتيجة المؤقتة، هى: إثمار ملحدين.

- عندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقيدة غير عقيدتنا، وعلى ذلك يتعين علينا: أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى[1].

وحينما يدقق الإنسان النظر فى هذه القرارات - والتى جئنا ببعضها - ترى: أنها قرارات لتحطيم العقائد والإنسان فى هذا الوجود، تصد الناس عن الحق، وتصرف الناس عن الإسلام. وأساليبها وإمكاناتها خطر على المجتمعات.

والبروتوكول الأول يرسم لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض ويبذرون غراس الفساد، ويعيثون بالفوضى والانحلال فى المجتمع[2].

أما البروتوكول التاسع فجاء فيه: «لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود، وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادىء والنظريات التى نعلم سلفاً أنها مبادىء ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها فى ذهنه[3].

وهكذا يقف اليهود وراء كل دعوة هدامة، وكل مبدأ يتنافى مع الخلق والكرامة، ويحيكون الأحابيل للشباب، يتملكون غرائزه، ويزينون له أسباب المتعة المحرمة من فسق وفجور وميسر، وإدمان للخمر، وتهالك على المخدرات لإنهاك قواه، وابتزاز طاقاته، وتوهين عزائمه، للتردى به فى إسار الإدمان، حتى يسهل ويسلس قياده واستلامه[4].

ويقول البروتوكول الرابع عشر: «عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام

---

(١) محمد خليفة التونسى: «الخطر اليهودى»، ص: ١١١-٢٢٣.

(٢) السميع الهراوى: «الصهيونية بين الدين والسياسة»، ص: ٨٤.

(٣) محمد خليفة التونسى: «الخطر اليهودى»، ص: ١٤٧، أحمد عبدالغفور عطار: «مؤامرة الصهيونية على العالم»، ص: ٢٢٨.

(٤) عبدالسميع الهراوى: «الصهيونية بين الدين والسياسة»، ص: ٨٤.

دين غير ديننا أى دين لا يسلم إلا بإله واحد، يرتبط به مصيرنا، لأنه اختارنا، ويرتبط به كذلك مصير العالم[١].

ويقول البروتوكول السابع عشر: «لقد عنينا عناية... [مخصوصة] بالعيب فى رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم فى نظر الشعب، وأفلحنا كذلك فى الإضرار برسالتهم التى تنحصر فى تعويق أهدافنا، والوقوف فى سبيلها، حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام[٢].

«إن حرية العقيدة معترف بها اليوم فى كل مكان، ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك»[٣].

وأن الباحث فى مخططات الصهيونية يجد: أن الإسلام والمسيحية قد كرست لها الصهيونية نشاطها، ابتغاء النيل منهما، بدأب حثيث، وموجة مسعورة، ودهاء خارق.. يقول التلمود: «حيث أن المسيح كذاب، وحيث أن محمداً اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى، كما قاتلنا الكذاب الأول»[٤].

ولم يسع حاخام إسرائيل أن يضمر هذه النعرة بين جنبيه، لاهبة جياشة تؤزه، ويملك عليه غلواؤها حماسه، وعقدة منطقه، فأطلق للسان العنان، يجاهر بها ويدعو لها علانية فى حفل وضع حجر الأساس للمحفل الماسونى فى تل أبيب فى سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م بقوله: «إننا نعمل جميعاً لهدف واحد هو: العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عد ذلك فهى أديان باطلة، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد، وبين أى شعب وشعب. ونتيجة لمجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى، والدين الإسلامى، ويتخلص المسلمون من معتقداتهم المتعفنة، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة».

---

(١) محمد خليفة التونسى: «بروتوكولات حكماء صهيون»، ص: ١٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٨٧.

(٤) د. محمد على الزعبى: «دقائق النفسية اليهودية»، ص: ١٢٨ ط: بيروت، سنة: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

وللصهيونية وسائل كثيرة، تصنعها لتصل عن طريقها إلى أهدافها. ويهمنى من هذه الوسائل والأساليب ما يتصل بالإسلام، وما يتصل بالإسلام فى قمة الخطورة، مما يعد من أكبر العراقيل التى توضع أمام المد الإسلامى، ومن هذه الوسائل:

١ - محاولة تحريف الكتب الدينية والتاريخية، بالإضافة أو الحذف أو التعديل، أو التغيير، وقد كشف الله أمرهم فى الأعوام الماضية حينما حاولوا تحريف القرآن الكريم.

٢ - دراسة الإسلام واللغة العربية وكتبهما، بالاشتراك مع هيئة الاستشراق، متعاونين على أمل التمكن من تحريف الإسلام فى المؤلفات، وفى نفوس أبنائنا الذين يلجأون إليهم بعد فترة من الزمن.

٣ - تلقف أبناءنا الذين نرسلهم إلى جامعات الغرب أو الشرق ليوجهوهم بأساليبهم المختلفة، وأفكارهم المسمومة إلى ما يصرف شبابنا الصاعد عن بناء مستقبله، ولينأوا به عن دينه.

٤ - مداومة تنمية الفرقة بين المسلمين بما يضمن نموها لتفريق الشمل وتفتيت الجمع.

٥ - العمل على التحالف بين اليهودية والمسيحية ضد الإسلام، وأول من قام بهذه الفكرة، هو دافيد ريوبينى - حاخام اليهود - فقد تقدم إلى البابا فى روما بمشروع محالفة ضد الإسلام، للقضاء عليه[١]. ونشأ عن هذا الاتفاق ما يسمى الآن «بالصهيونية المسيحية»، وعلى رأس هذه المسيحية الكنيسة البروتوستنتية. ويرى هؤلاء: أن مصلحة المسيحية مماثلة اليهود، والوقيعة بينهم وبين المسلمين[٢].

---

(١) محمد محمد أبو فرحة: «الصهيونية ومخططاتها للسيطرة على العالم»، ص: ٥٩-٦٠ محاضرة ألقيت فى الموسم الثقافى للعام الدراسى ١٣٩٣هـ/ ١٣٩٤هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٠-٦١، بتصرف.

الماســـونيــة

الماسونية كلمة غامضة فى لفظها ومعناها، كما هى غامضة فى الدعوة التى تقوم تحت رايتها، وهذا الغموض الذى تتحرك فى ظلامه هذه اللفظة هو مقصود لذاته، إذ يتعامل بها الناس، وهى فى هذا القناع الكثيف من الغموض، الذى لا يرفع السر عنه أبداً، بل تظل هكذا مغلفة فى هذا الضباب تغرى كثيراً من الناس بالجرى وراءها، والبحث عن هذا العالم المجهول الذى ترمز إليه رمز الكهان والسحرة والمشعوذين، بما يتحدثون به إلى الناس: إذ يكون للفظة أو العبارة محامل كثيرة من المعانى المتناقضة المتضاربة، تذهب بها التأويلات كل مذهب لا يردها إلى عقل أو منطق[1].

وإذا نظرنا إلى اللفظة «الماسونية» فى ذاتها، وإن لم تكن قد عرفت اللغة التى جاءت منها، ولا الأصل الذى اشتقت منه، وجدنا أن معظم حروفها مشكلة من كلمة (موسى) عليه السلام، المرسل إلى بنى إسرائيل بالتوراة التى هى شريعتهم إلى اليوم، فالميم فى الماسونية هى: الميم فى موسى، والألف هى الواو منقلبة ألفاً، والسين هى السين، والواو هى الواو، والنون هى النون التى تلحق بياء النسب، مثل: النون فى ربانى، نسبة إلى رب[2].

والماسونية لغة معناها: البنّاؤون الأحرار، وهى فى الاصطلاح: منظمة يهودية صهيونية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والتخريب والفساد، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار بما يسمى بالمحافل الماسونية للتجمع والتخطيط والتكليف بمهمات الأمور[3].

---

(١) عبدالكريم يونس الخطيب: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الندوة العالمية: «الموسوعة الميسرة فى الأديان»، ص: ٤٤٩.

وفى أوائل القرن السابع عشر الميلادى تكونت جمعية سرية فى فرنسا تدعى: «جمعية البنائين الصادقين»، واتخذت هذا اللقب من كلمة «الماسونية» وهى مكونة من لفظين:

الأول: ومعناه «فران» وهى كلمة عبرية معناها فى اللغة العربية: الصادق.

والثانى: «ماسون» أى: البانى: ومعنى الكلمتين معاً فى العبرية: «البناؤون الصادقون»[١].

واليهود هم واضعو هذه اللفظة «الماسونية» وهم الذين عملوا على تجسيدها فى صورة هياكل يجتمع الناس فيها من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب والأعمار، حتى صارت «الماسونية» دعوة من تلك الدعوات الرائجة فى جميع أنحاء العالم، فلا تكاد تخلو دولة من دول العالم كله من أن يكون بها أعداد كثيرة من المحافل الماسونية المنتشرة فى جميع مناحيها[٢].

وللماسونية أسماء أخرى اختلفت حسب اختلاف الأمكنة والأزمنة والفروع المتفرعة منها، كالمنورين فى ألمانيا، والفحامين فى إيطاليا[٣].

وللماسونية تعاريف كثيرة أهمها:

- أنها جمعية سرية لم تعرفها بلاد الإسلام إلا فى العصور المتأخرة، آخذة إياها عن البلاد الغربية من فرنسية وإنجليزية وإيطالية وألمانيا وغيرها[٤].

- الماسونية لون من نشاط اليهود المعادى للأديان عموماً والإسلام على الأخص، وهى جمعية سرية أنشأها اليهود ليمارسوا من خلالها الأعمال التى توصلهم إلى أهدافهم وأغراضهم[٥].

---

(١) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية والحركات المعاصرة»، ص: ١٣٦، ط. الأولى، دار الاعتصام بالقاهرة.

(٢) عبدالكريم الخطيب: «الغزو الفكرى»، ص: ٤٤٩.

(٣) مجلة (الجندى المسلم) السنة العاشرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، العدد ٢٧، ط: وزارة الدفاع والطيران، الرياض.

(٤) فتحى يكن: «حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام»، ص: ٥٣، ط: دار الجيل، بيروت، سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

(٥) مجلة (الجندى المسلم)، العدد ٢٧، ص: ٧٠.

- أن الماسونية شركة سرية غايتها: تقويض أركان سلطة دينية كانت أو مدنية[١].

- هى جمعية سرية تحمل أهدافاً سرية، غاية فى الخطورة[٢].

- الماسونية هى الجمعية التى تعمل فى الخفاء «للاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها»[٣].

والمتأمل بثاقب فكره فى تلك التعريفات التى وقع اختيارى عليها من بين العشرات يجد أنها متقاربة، وأنها تشكل فى مجموعها خطراً على الإسلام وخطورة رهيبة على البشرية، لا يمكن السكوت عليها، وأن الإنسانية ما وصلت إلى ما وصلت إليه من التردى والانحلال والضياع، إلا نتيجة لأعمال هذه الجمعيات الماسونية التى تكيد للإسلام والإنسانية.

وقد اختلف المؤرخون فى منشأ حركة «الماسونية».

- فمن قائل: إنها قديمة قدم الإنسان منذ ظهر آدم - عليه السلام - على الأرض[٤].

- ومنهم من قال: إن الذى أسسها «هيرودوس أكريبا» ملك الرومان، وذلك سنة ٤٤م بمساعدة مستشاريه اليهوديين[٥].

- ومنهم من قال: إنها انبثقت من جمعية الصليب الوردى، التى تأسست سنة ١٠٢٥هـ-١٦١٦م[٦].

ومنهم: من أوصلها إلى الحروب الصليبية[٧].

(١) الأب لويس اليسوعى: «السر المصون فى شيعة الماسون»، ص: ٤٣، ط. دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

(٢) مجلة (الجندى المسلم)، العدد ٢٧، ص: ٧٠.

(٣) الجنرال (جواد رفعت أتلخان): «أسرار الماسونية»، ص: ٢٦، ط: الأولى، المختار الإسلامى، بمصر، سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٤) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٣٨.

(٥) أضواء على الماسونية، مجلة (الجندى المسلم)، العدد: ٢٧، ص: ٧١، عفيفى إبراهيم حسن: «الماسونية بين الشيوعية والصهيونية»، ص: ٥.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

وهناك أقوال وآراء كثيرة حول نشأة هذا الوكر الخبيث الماسونية، وسبب الاختلاف فى نشأتها: يرجع إلى طبيعة هذه الجمعية السرية إذ أن سريتها هى التى جعلت مسألة نشوئها غامضة، يحيطها الكتمان الشديد.

وإذا كان المؤرخون والباحثون يختلفون فى نشأتها، فإن من المؤكد أن هذه الحركة لم تعرف على حقيقتها إلا فى بداية القرن السابع عشر الميلادى. والماسونيون أنفسهم يقولون فى ذلك أقوالاً وآراء كثيرة، منها:

أولاً: لا ينكر أنها شاعت بين الوثنيين فى القرون السابقة لعهد المسيح جمعيات سرية، كانت تحجب أسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمة فتدعى ظاهراً ترقى العلوم، والتقرب بين الألوهية، وهى فى الواقع موارد خالعة متهتكة. وكان أسوأها فعلاً: الجمعيات المتسترة وراء حجاب الدين[1].

ثانياً: أنه من الأقرب إلى العقل والتصديق أن يقال: أن الماسونية هى حفيدة لجمعيات أخرى، وشيع سرية ظهرت فى أوائل النصرانية.

فقامت لمعاداة الدين المسيحى، وتعرضت لأربابه[2].

ولا يخفى على أهل البحث والدراسة: أن الماسونية كانت ابتكاراً واختراعاً يهودياً بهدف استقطاب الجاليات اليهودية فى العالم كله وجمعهم بفلسطين، سعياً وراء غايتهم المنشودة، وهى: إعادة تأسيس مملكة إسرائيل، وإعادة مجد «يهوذا» تحت لقب «الحكومة العالمية» لتسيطر على العالم كله سياسياً واقتصادياً، وفكرياً وعقدياً[3].

فأصل كلمة «الماسونية» قد صاغها اليهود تلك الصياغة الخبيثة، لتكون جارية على الألسنة فى كل لغة، ولتحتفظ بهذه الصورة التى يعرفها كل يهودى فى

---

(١) جورجى زيدان: «تاريخ الماسونية العام»، ص: ١٤٨، ط: الانجلو المصرية، بالقاهرة، سنة: ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٣٩، د. صابر طعيمة: «الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفا»، ص: ١٥، ط: دار الفكر العربى، بيروت.

العالم، فكلما ظهر لها وجود فى أية جهة، عرف اليهود فى تلك الجهة أنها دعوتهم، وأنهم أهلها، وحملة رايتها[1].

ثم إننا إذا صرفنا النظر جانباً عن أصل الكلمة، ونظرنا إلى مظهرها الخارجى، وما قام تحت مسماها من هياكل، وما يجرى فى داخل هذه الهياكل من أقوال وأعمال، وجدنا:

- أن تلك المبانى التى أطلق عليها «المحافل» والتى يجتمع فيها المتجيون، أو المتجلبون لهذه الدعوة الماسونية، قد بنيت على شكل هيكل سليمان - عليه السلام -.

هذه المحافل التى نصبوها فى كل مدن العالم هى: إعداد لاستقبال هذا المسيح المنتظر - فى زعمهم -، والذى سيحكم العالم، ويقيم اليهود ولاة باسمه على كل أمم الأرض.

- أما مهمة المحافل الماسونية: فهى جلب الناس إليها من مختلف الأجناس والأديان تحت اسم الإخاء الإنسانى البعيد عن التعصب لأى دين أو مذهب أو وطن أو جنس أو لون، فإن كان ثمة تعصب لشىء فهو الدين، وإن كان ثمة دين فهو دين العالمية - بفتح اللام - أى: دين الغيرة على الإنسان فى كل مكان من هذا العالم[2].

والباحث فى منهاج الماسونية: يجد أنها تسلك منهاج الباطنية فى الدعوة إلى مبادئها واعتناقها، بمعنى: أن لها ظاهراً براقاً جميلاً تخدع به العوام والجهلة والبسطاء من الناس، إذ تغريهم وتساومهم باستخدام أساليب الخداع والتضليل، تارة بالإغراء بالمال، أو بالمناصب والجاه، وتارة بالوصول إلى مراكز القوى والحكم فى البيئة التى يريدون إفسادها وتخريبها. ويقولون: إن غاية دعوتنا: الأعمال الخيرية لبنى الإنسان، وتنادى بمبادىء براقة، ظاهرها الرحمة، وفى

(١) عبدالكريم الخطيب: «الغزو الفكرى»، ص: ٤٤٩-٤٥٠.
(٢) المصدر السابق، ص: ٤٥٠-٤٥١، بتصرف واختصار.

باطنها العذاب، وهى: مبدأ الحرية، والمساواة، والإخاء. وهذه المبادىء الثلاثة استعاروها من بروتوكولات صهيون[1].

وهذا يضع أيدينا على أن أصابع الصهيونية خططت لهذه الدعوة وتبنتها بالمال والدعم المعنوى، حتى عملت على إنجاحها وانتشارها فى العالم كله، إذ كانت فى بادىء أمرها مقتصرة فى دعوتها على النصارى فى أوروبا الغربية، وبعد أن استقرت وقويت، توسعت فى العالم كله، وجمعت بين النصارى والمسلمين واليهود. وهيأت لهم الظروف الملائمة إذ عملت على نبذ الأديان السماوية، ونادت بحرية الأديان، لكى تضمن دخول المسلمين فى هذه الجمعيات السرية المناوئة للأديان السماوية بحربها الشعواء عليها، وبخاصة الدين الإسلامى الحنيف[2].

فأنت تجد الماسونية تسلك مناهج وسبل الدعاوى والتيارات الهدامة، وجميع أساليب الخبث والمكر المناهضة للأديان السماوية للنيل منها وهدم آدابها، وقيمها، وأخلاقها، ومنع انتشارها.

وإذا ذهبت تتعرف على المحافل الماسونية التى ينشئونها، تجد أن المحافل الماسونية عبارة عن الأماكن التى تعد لتكون مقراً لاجتماعات الماسونيين وتعمل هذه المحافل فى اتجاهين رئيسيين، هما:

الأول: نشر الدعوة الماسونية. وبثها فى المجتمع الإنسانى كله خدمة للصهيونية، تارة بالإغراء بالأموال، وتارة بالوعود بالمناصب والسلطة والوظائف فى هذه البلاد، لمن تلمس فيهم التطلع إلى الظهور.

الثانى: تعمل المحافل الماسونية كأجهزة مخابرات سرية، للتجسس على الحكومات فى البلاد والدول التى توجد بها محافل الماسونية والوقوف على سير النظم السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، والعمل من وقت لآخر على بث

---

(١) محمد خليفة التونسى: «الخطر اليهودى، بروتوكولات حكماء صهيون»، ص: ١٢١.
- د. محمد على الزغبى: «الماسونية فى العراء»، ص: ٩، ط: الثالثة، سنة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سعود بن على الصقرى: «الماسونية فى الميزان»، ص: ٩٠. ط: الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، بالرياض، سنة: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

(٢) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٠.

القلاقل داخل البلاد. حتى لا يستقر لها نظام، كما تعمل على تشجيع طرق الفساد فى هذه البلاد، لإفساد الأخلاق والقيم، والمبادىء وكسر حدة التدين فيها[1].

والتاريخ لم يعرف منظمة سرية أقوى نفوذاً وخطورة من الماسونية، وذلك:

- لأن لها نفوذ واسع فى العالم من خلال الزعماء الذين اصطادتهم فأصبحوا كالدمى فى يدها، خوفاً على أنفسهم وكراسيهم.

- لها محافل فى العالم تقريباً، إذ تستقطب هذه المحافل الشخصيات فى كل بلد، لضمان سيطرتها عليه.

- تسيطر على كل الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب، لتضمن سير العالم كما تريد، ولتضمن أن يكون القرار دائماً بيدها.

- تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر، والصحافة فى العالم.

- لهم عصابات إرهابية، لتنفيذ العمليات الإجرامية، للتخلص من كل من يقف فى طريقهم عن قصد أو عن غير قصد[2].

وإذا كان هذا شأن الماسونية من حيث النشأة والنفوذ، فإن عقيدتها تزعم فى الظاهر أمام الناس، وبخاصة البسطاء والجهال، أنها تعتقد بوجود إله واحد واجب الوجود، أزلى قديم قادر على كل شىء، خالق كل شىء بمشيئته، كل مخلوق يحتاج إليه، ولا يحتاج هو إلى أحد من المخلوقين.

هذا منطوق الماسونيين فى الظاهر أمام الناس، لخدعتهم والتغرير بهم والحقيقة: أن الماسونيين - وفقاً لمبادئهم وعقيدتهم الملحدة - ينكرون وجود الله الخالق - سبحانه وتعالى -، ويعادون كل دين سماوى، ولا يؤمنون إلا بالمادة، فهى عقيدتهم[3].

يقول أحد الماسونيين فى خطبة له: «إنى أعلن بينكم صريحاً أنه من الواجب علينا أن ننبذ التعاليم الدينية، ونطرح كل نفوذ دينى على أى صورة كان، فكل

---

(١) عبدالرحمن سامى: «الصهيونية والماسونية»، ص: ٨٣.

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامى: «الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة»، ص: ٤٥٣.

(٣) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٤.

اعتقاد دينى أساسه ما وراء الطبيعة، كالإله غير المنظور، إنما هو ضعف فى عقل الإنسان»[1].

ويقول ماسونى آخر - كما جاء فى النشرة الماسونية المؤرخة سنة: ١٢٨٢هـ-١٨٦٦م: «علينا نحن الماسونيين فقط أن نرقى فوق طبقات كل الأديان، بل نتحرر - أيضاً - من كل اعتقاد بوجود إله أياً كان»[2].

وقال ثالث: «إن صرح الاستبداد الروحى قد سقط، وإن المتحررين عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين، حتى إنه لم يبق الآن أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمقى»[3].

وفى المؤتمر المنعقد سنة: ١٣١١هـ-١٨٩٤م بألمانيا: قام أحد خطباء الماسون، فقال: «ليس فى العالم سوى جوهر واحد، وذات واحدة، هى المادة، والإله الحقيقى هو المادة»[4].

وتحت عنوان (الماسونية والدين): كتب أحد مفكرى الإسلام يقول: «إن موقف الماسونية من الدين لا يختلف عن مواقف المادية منه، فالماسونية تعمل على إشاعة المادية، وتدعو إلى حرب الأديان ومقاومتها بصورة عامة»[5]. كما حكى قول أحد الماسون فى مؤتمر الطلاب المنعقد فى سنة: ١٢٨١هـ-١٨٦٥م بمدينة «ليبزج»: «يجب أن نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقى للبشرية، الذى هو الدين، ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهداً فى القضاء على مظاهرها»[6].

ويضاف إلى ما سبق فى عقيدة الماسونيين: أنهم يناصبون العداء للأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - ولهذا دعوا إلى كذبهم وسقوطهم والطعن

---

(١) شاهين مكاريوس: «الآداب الماسونية»، ص: ٤، ط: الأولى، دار الفكر العربى، بيروت، سنة: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

(٢) فتحى يكن: «حركات ومذاهب»، ص: ٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص: ٦٠.

(٤) الجنرال جواد رفعت أتلخان: «أسرار الماسونية»، ص: ٣٠، مطبعة الجاحظ، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، بتصرف.

(٥، ٦) فتحى يكن: «حركات ومذاهب»، ص: ٥٠.

فيهم، قال أحد الماسون، سنة ١٣١٩هـ-١٩٠١م: «نحن الماسون يسرنا أن نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة، فإن الماسونية قد أنشئت لتناصب الأديان العداء»[١].

وجاء فى النشرة الرسمية للمحفل الماسونى الفرنسى، سنة ١٢٧٢هـ-١٨٥٦م: «إننا نحن الماسون لا يمكننا أن نكف عن الحرب بيننا وبين الأديان، لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا، ولا بد من موتنا أو موتها، فالماسون لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحة إلا بعد أن يغلقوا جميع المعابد ويحولوها إلى هياكل لحرية الفكر، ولإله العقل[٢].

فأنت ترى أن أقوال هؤلاء الماسونيين ناطقة بإنكارها لوجود الله - سبحانه وتعالى - ومحاربتها للأديان السماوية، كما أنها تسب الأنبياء، وتنكر رسائلهم، فهم كفار ملحدون، ولا يؤمنون إلا بالمادة، فالمادة إلههم ومعبودهم، وهذا يكشف لنا عن حقيقة عقيدتهم المادية الخبيثة، فهم ماديون ملحدون، لا يؤمنون إلا بالمادة كما أنهم يدعون إلى التحلل من الأخلاق والشرائع السماوية، وطبائع الماسون تقوم على بث الإباحية إذ تتوسل بالجنس والنساء، وتبيح شرب الخمر، وإقامة الحفلات الماجنة للإيقاع بالأشخاص، واجتذابهم إلى صفوفها[٣].

أما بالنسبة للأخلاق وانحلالها: فإن الجمعيات الماسونية تؤدى الدور الذى تقوم به بخبث ومكر ودهاء جمعيات الانحلال الخلقى، والمطبوعات الفاضحة والممارسة المشينة، والجمعيات الماسونية لها أعضاء فى كل مؤسسات المطبوعات الجنسية الفاضحة، وهدفها: إشاعة الانحلال الأخلاقى بين أصحاب الأديان، ويعبر عن هذا أحد كبار الماسونية وهو «دور فويل».

فيقول: «إن العفة المطلقة مرذولة عند الماسونيين والماسونيات، لأنها ضد ميل الطبيعة»[٤].

---

(١) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٦.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الجنرال جواد رفعت أتلخان: «أسرار الماسونية»، ص: ٢٩-٣٢، كتاب ديشأن، الجمعيات الماسونية، ص: ١١٨، ط: دار الفكر العربى، بيروت، سنة: ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٧.

(٤) مجلة (الجندى المسلم)، العدد: ٣٠، السنة العاشرة، ص: ٦٢، الرياض، وزارة الدفاع والطيران.

وفى أحد نشرات الماسونية تقرأ بالحرف الواحد: «لماذا يستر الإنسان عورته، لماذا تخفى الواحدة جسدها؟ إن إظهار العورات واستعمالها هو الشكل.. [الأساس]... الذى تود تحقيقه الماسونية، إذ أن حماية الأخلاق شىء تحاربه وتخطط له وتهدمه، كما أن الكشف عن الأعضاء التناسلية للرجال والنساء شىء تدعو له جمعيتنا الموقرة»[1].

وإن المتتبع لدعوات الماسونية: يجد أن من هذه الدعوات تحريم الجهاد فى جميع المذاهب والأديان، ما عدا الماسونيين، فإنهم يجاهدون ضد أعدائهم لانتصار مبادئهم ونجاحها[2].

ونستطيع بعد هذا أن نعرض بعض أفكار الماسونية ومعتقداتها، التى تشكل خطورة أساس فى سبيل تقدم وانتشار الإسلام، ومن تلك الأفكار والمعتقدات:

- أنها تكفر بالله - سبحانه وتعالى - ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم- وكتبه، وبكل الغيبيات، ويعدون ذلك خزعبلات وخرافات.

- تعمل على تقويض الأديان، والإسلام بصفة خاصة.

- تعمل على إسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة، والسيطرة عليها.

- إباحة الجنس، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

- العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

- تسليح هذه الأطراف، وتدبير حوادث لتشابكها.

- بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

- تهديم المبادىء الأخلاقية والفكرية والدينية، ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٦٢.

(٢) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٧ بتصرف.

- العمل على السيطرة على رؤساء الدول، لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية الفتاكة.

- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام، واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفاعلية والتأثير[1].

فهدف الماسونية - كما ترى من الأفكار والمعتقدات - هو: القضاء على الأديان، باستثناء اليهودية التى تعمل على تثبيت دعائمها وتمجيدها، ونشر سيطرتها على العالم. ولقد جاء فى السجلات الماسونية الصادرة سنة: ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م: «لقد تيقن اليهود أن خير وسيلة لهدم الأديان، هى: الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود فى الاعتقاد، ويربط كيانها بخمسة آلاف سنة، منذ بدأ الخليقة، وأن شعارها: نجمة داود المسدسة... [ويعد]... اليهود والماسون معاً الأبناء الروحيين لبناء هيكل سليمان. وأن الماسونية التى تزيف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وانتصارها»[2].

وفى مؤتمر الطلاب الذى انعقد فى سنة: ١٢٨١هـ-١٨٦٥م فى مدينة «ليبزج» التى تعد أحد المراكز الماسونية. أعلن الماسونى المشهور Lefargoe «ليف أرجو» فى الطلاب الوافدين من ألمانيا وأسبانيا وروسيا وانجلترا وفرنسا قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات، ويمزقها كالأوراق»[3].

وجاء فى كتب الماسونية: يجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهداً فى القضاء على مظاهرها، ولا يصح أن نكتفى بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية، هى: إبادة الدين من الوجود، وأن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة. وسوف تحل الماسونية محل الأديان، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد[4].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامى: «الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة»، ص: ٤٥٠-٤٥١، باختصار شديد.

(٢) أحمد البشير: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٨٥.

(٣) الجنرال جواد رفعت أتلخان: «أسرار الماسونية»، ص: ٢٩-٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص: ٣٠-٣١، بتصرف واختصار.

وأن المتأمل فى أهداف الماسونية يجدها تتنوع إلى غايتين:

الأولى: غاية عقدية، وهى: غزو الأفكار والأذهان والعقول بمبادئهم، حتى يضمنوا التحكم فى الناس، وبالتالى يعملوا على ضياع العقائد، وانحلال الأخلاق والقيم، ونزعها من نفوسهم، وبذلك يسهل لهم بث الإباحية والإلحاد والفساد، ليحلوا محل العقائد السماوية، والفضائل الإنسانية[1].

الثانية: غاية سياسية، وهى: غزو الأحزاب السياسية، وجعلها تحت سيادتهم، بحيث تصبح جميع الأحزاب خادمة لهم[2].

وإن الناظر بعمق فى هاتين الغايتين اللتين تهدف إليهما الماسونية يجد: أنهما يشكلان خطورة على الإنسانية، كما أن هاتين الغايتين معوق خبيث وخطير لكل ما هو إسلامى، والتنظيمات الماسونية القديمة والتى خططت للحرب والقضاء على المسيحية منذ عصر الميلاد، ما أن فوجئت بالمجتمع الإسلامى فى القرن السابع الميلادى يقوم على دعوة التوحيد لله والحب والإخاء الصادق، حتى ظهرت الأحقاد التى تكره للحق أن ينتصر»[3].

وقد لبست الماسونية مع تطور وتصاعد عدائها ضد الإسلام أثواباً عديدة، وكان كل ثوب يوائم المرحلة أو العصر الذى تمر به التنظيمات الماسونية كقوة خفية تعمل فى الظلام جيلاً بعد جيل. ومن الأثواب التى ارتدتها الماسونية فى حربها للإسلام: المذاهب والاتجاهات والتيارات التى دست على الإسلام، حتى حسبها العامة من المسلمين فى مراحل القهر والاستبداد من الإسلام[4].

ولا يخفى على الباحث والدارس والمتتبع لأحوال المسلمين، وما فى المجتمعات المسلمة من أحزاب وتيارات: أن تفرق المسلمين إلى طوائف صناعة ماسونية، لأن الماسونية تعمل على عرقلة الجهود لمصلحة الإسلام والمسلمين.

---

(١) مجلة (أكاسيا): «الماسونية الإيطالية»، سنة: ١٣٢٢هـ-١٩٠٤م، ص: ٢٥٦. نقلاً من: د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية والحركات المعاصرة»، ص: ١٤٨.

(٢) البيان الماسونى، سنة: ١١٥٧هـ-١٧٤٤م، نقلاً من: د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٤٨.

(٣) د. صابر طعيمة: «الماسونية ذلك العالم المجهول»، ص: ٢٢٥.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢٢٦، باتصرف واختصار..

والذى يؤكد القول بهذا: أنك تجد المجتمعات المسلمة انصرفت عن الدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله انصرافاً أنساها أن هذه فريضة إسلامية، فما الذى أنسى المسلمين فريضة الجهاد، وما الذى صرف الحكومات عن الدعوة إلى الجهاد؟

تساؤلات ترد على الذهن، ويعرف الإجابة عنها، لمن تأمل الماسونية وعرف أخطارها وأوكارها العفنة.

أندية الروتـارى

جاء فى المصدر التى كتبها المنتـبون إلى الروتارى، والمعلقون عليها: أن المحامى اليهودى «بول هاريس» الذى كان يعيش فى شيكاغو أحس بالوحدة، وبحاجته الملحة إلى الزمالة والصداقة، ففكر فى جمع بعض الأصدقاء فى مكتبه، فى روح أخوية، ليتدارسوا كيفية رفع مستوى كل منهم[١].

وأول اجتماع كان فى ١٩ ذى الحجة، سنة ١٣٢٢هـ- ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٥م، حضره أربعة من الأصدقاء، واتفقوا على أن يكون الاجتماع أسبوعياً فى مكان عمل واحد منهم. ومن هنا جاء اسم «الروتارى». ولما كثر عددهم، وضاقت بهم أماكن العمل، أصبحت اجتماعاتهم حول موائد الطعام، مع مناقشة ما يرون من مسائل[٢].

ثم أنشأوا نادياً ثانياً فى «فرانسيسكو»، سنة: ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م، وتكونت نواد خارج أمريكا، كان أولها نادى «وينبج» فى كندا، سنة ١٣٣٠هـ-١٩١٢م، ثم انتشرت فى كثير من البلاد، حتى صار عددها: سبعة عشر وثمانمائة ناد فى أربع وخمسين ومائة دولة، ومنطقة جغرافية حسب إحصاء ذى الحجة، سنة: ١٣٩٨هـ - نوفمبر، سنة ١٩٧٨م[٣].

والروتارى - كما تذكرها المعاجم -: «منظمة ماسونية، تسيطر عليها اليهودية العالمية. تعرف باسم «نادى الروتارى»، وقد جاء هذا الاسم من التناوب Inrotarion تلك العبارة التى صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادى، الذين كانوا يعقدونها فى مكاتبهم بشكل متناوب»[٤].

---

(١) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج٢ ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: ٢٤٣.

ونوادى الروتارى تعد أعضاء فى مؤسسة الروتارى الدولية، ومقرها مدينة «افنسنون» بولاية «إلينوى» بالولايات المتحدة الأمريكية[١].

وتعد الجمعيات الروتارية إحدى الجمعيات السرية المتفرعة من الماسونية العالمية، التى عملت الصهيونية جاهدة على تكوينها وانتشارها فى العالم، وفى المجتمعات المسلمة، لخدمة أغراضها السياسية، وأهدافها الاقتصادية والدينية[٢]. وهذه الجمعيات من أهم المؤسسات التى اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم. والوصول إلى أهدافهم[٣].

ويرجع السبب فى ظهور جمعيات ونوادى الروتارى إلى: أن اليهود لما رأوا أن مخطط الماسونية فى العالم - وبخاصة العالم العربى والإسلامى - قد ظهرت نواياه الخبيثة فى تقويض الحالة السياسية، وتقويض العقائد، وهدم القيم والأخلاق، أرادوا أن يتستروا ويموهوا هذا المخطط الماسونى تحت اسم جمعيات الروتارى، وبثها فى العالم، وبخاصة العالم الإسلامى، بحجة أنها جمعيات كونت لأجل خدمة المجتمع والبيئة[٤]، لذا تجد أن نادى الروتارى فى مصر، يوضح الغرض من إنشائه فى أمور أربعة:

١ - توسيع مدى التعارف، لإتاحة الفرصة للخدمة.

٢ - بلوغ مستوى أخلاقى سام فى الأعمال والمهن.

٣ - تمسك كل روتارى بمبدأ الخدمة فى حياته الشخصية العلمية والاجتماعية.

٤ - تعزيز روح التفاهم الدولى، والنية الصادقة، وحب السلام وذلك بتوثيق أواصر الزمالة فى العالم بين الروتاريين أصحاب الأعمال والمهن[٥].

وهذه الأغراض فى شكلها وفى جملتها قد تغرى بالانضمام إلى هذه النوادى، أو على الأقل عدم التعرض لنشاطها، ما دام يستهدف تحقيق هذه الأغراض[٦].

---

(١) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج ٢ ص ٥٠.

(٢) د. مبارك حسن حسين إسماعيل: «التيارات الفكرية والحركات المعاصرة»، ص: ١٥١.

(٣) د. أحمد شلبى، اليهودية، مقارنة الأديان، ص: ٢٣١، ط: الانجلو المصرية، بالقاهرة، سنة: ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٤) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٥١، بتصرف.

(٥) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج: ٢، ص: ٥٠.

(٦) المصدر السابق، نفس الجزاء والصفحة.

والواقع أن أعداء الإسلام منذ القدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أدركوا حقيقة: أن من العسير جداً أن يرتد المسلم عن دينه إلى دين آخر سواه، وأن محاولة ارتداده عن دينه يتطلب جهداً كبيراً وأموالاً طائلة، ووقتاً طويلاً دون أمل فى النتيجة. ومن ثم اكتفت جمعيات أعداء الإسلام بتضليل المسلمين، ودفعهم إلى الانحراف، والبعد عن الإسلام الصحيح[1].

ومن وسائل هذه الجمعيات: منهاج التمويه والتضليل، ولذلك يعدلون عن هدفهم الأساسى إلى أساليب مموهة، يخدعون الإنسانية بأن هدفهم الأساسى هو: خدمة الإنسان، والعمل على نفعه[2].

ومن المعلوم أن هناك صلة بين الروتارى وبين الماسونية أكدت هذه الصلة، الشعارات، والأقوال، والأفعال، ومن شواهد ذلك:

١ - أن شعار جميع الأعضاء هو: «الأديان تفرقنا، والروتارى يجمعنا»، وهو شعار الماسونية. وقد قرر مجلس إدارة الروتارى الدولى فى اجتماع سنة: ١٣٠٩هـ-١٩٤٠م/ ١٣١٠هـ-١٩٤١م: أن نوادى الروتارى تضم أعضاء من مختلف الأديان والمبادىء، ولكل أن يتمسك بعقيدته الدينية مع الاحترام الكامل لعقيدة الآخرين[3].

وتلقن نوادى الروتارى أفرادها قائمة بالأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة، مرتبة حسب الترتيب الأبجدى: البوذية - المسيحية - الكونفوشيوسية - الهندوكية - اليهودية - المحمدية. وفى آخر القائمة: التاوزمية[4]، وهى: عقيدة

---

(١) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج:٢، ص: ٥٠.

(٤) هى: دين صينى، أسسه فيلسوف اسمه «لاوتز» الذى ولد سنة: ٦٠٤ق.م. وتقوم هذه الديانة على مبدئين:
الأول: القانون السماوى الأعظم، وهو: أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات فى السماء والأرض، ولكنه ليس متعالياً على الموجودات، بل هو فيها نفسها، وهو ليس شخصاً، وليست له فردية منفصلة عن الأشياء التى هو سر حياتها ووجودها.
الثانى: الاستقبال، أى: أن الأشياء تتصل حياتها ونشاطها وشكلها ولونها بفضل الاستقبال، وهى بهذا قريبة الشبه بمذهب وحدة الوجود الذى يوحد الخالق والمخلوق.
- محمد سيد الكيلانى: «ذيل الملل والنحل للشهرستانى»، ج:٢، ص: ٢٦.

صينية وجدت فى القرن السادس قبل الميلاد، وهى تؤمن بأن تحقيق السعادة يتم بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية، وتسهيل العلاقات الاجتماعية والسياسية بين جميع البشر[١].

فأنت ترى: أن الروتارى وضع الأديان كلها فى مستوى واحد من الاحترام، بصرف النظر عما هو سماوى أو أرضى، وفى ذلك - كما يقال: غسل القلوب تمهيداً لغرس ما يراد فيها مما تخطط له الماسونية من سيطرة الدين اليهودى، وأفكار التلمود التى استغنوا بها عن التوراة.

٢ - أن المجموعة الأولى التى اشتركت مع «بول هاريس» فى تأسيس الروتارى، كانت أعضاء فى المحافل الماسونية، بل إنه فى بعض الحالات قصرت عضوية النادى على الماسون فقط، مثل: نادى «أدنبرة» فى بريطانيا، سنة: ١٣٣٩هـ-١٩٢١م.

٣ - أن بعض الجمعيات والتنظيمات الحديثة التى دخلت المحيط الإسلامى ظهر أن لها صلة قوية فى تنظيمات غربية تستهدف مصالح الغرب، وبخاصة اليهود، كجمعية «أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية» التى يعمل «هوبكنز» «نائباً لرئيسها. وقد كان قسيساً ومنتسباً لطائفة خطيرة، وله نشاط واسع فى السياسة، لصالح أمريكا وبريطانيا[٢].

فأندية الروتارى: أنشطة علنية تؤدى مهامها، وبعض هذه المهمات تحت ستار الإخاء الإنسانى، وهى أندية منبثة ومنتشرة فى أغلب العواصم والمدن الكبرى، وأهدافها الظاهرية - كما يقولون - هى النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء المحاضرات والخطب، والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة، والبلدان المتعددة[٣].

أما الغرض الحقيقى، فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الإخاء والود. ثم يحاول - عن هذا الطريق - أن يصلوا إلى جمع المعلومات التى تساهم

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: ٢٤٤.
(٢) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج:٢ ص: ٥١.
(٣) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٧٠.

فى تحقيق أغراضهم، اقتصادية كانت أو صناعية أو سياسية[1]. ولقد فطن الفاتيكان - أيضاً - إلى خطر هذه الأندية المسماة «الروتارى». فصدر مرسوم من المجلس الأعلى المقدس - كما يزعمون - فى ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ- ٢٠ ديسمبر، سنة ١٩٥٠م، قرر فيه الكرادلة ما يأتى: دفاعاً عن العقيدة، وعن الفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى، وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها، وأن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم ذى الرقم: ٨٦٤ الخاص بالجمعيات السرية والمشتبه فيها[2].

ولما كانت أندية الروتارى تدرك أن أبوابها ليست مفتوحة لكل من يريد الاشتراك فيها ضماناً على سير مخططاتها، وحفاظاً على قراراتها وتنظيماتها، ولذلك تسعى هذه الأندية لتختار أحد نوعين من الناس:

الأول: المشاهير فى المجتمع، والذين لهم صوت مسموع ومراكز عالية فى المجتمع، والذين لا تتحوم حولهم الشبهات، ويتمتعون بحسن السمعة والشهرة، وهؤلاء يكونون الدرجة الأولى فى أندية الروتارى، ويتمتعون بالحفلات والرحلات، وكل مظاهر الرفاهية الاجتماعية، والإخاء الإنسانى.

ووظيفة هذا النوع من الناس ضمان سلامة الأندية، وإبعاد الشبهات عنها، لحساسية مراكزهم فى المجتمع، وبما لهم من تأثير قوى على أجهزة الحكم فى دولتهم، ومن جانب آخر: أن يكون قدوة للتأثير على الناس للدخول فى هذه الجمعيات، لينضموا فى أنديتها، ويكونوا فى صفوفها.

الثانى: جماعات لهم حب الظهور، وحب البحث عن الشهرة، ويكون عندهم الاستعداد النفسى والعقلى والجسمى، للتفانى فى خدمة العمل الروتارى[3].

وإن الباحث فى التاريخ وكتب العقائد والديانات - قديمها وحديثها - يجد علاقة قوية بين دعوى الروتارية، والقرامطة الباطنية الذين حاربوا العالم

(١) المصدر السابق.

(٢) د. أحمد شلبى: «اليهودية، مقارنة الأديان»، ص: ٣٢٨.

(٣) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٥٧.

الإسلامى، وكانوا السبب الحقيقى فى إضعافه سياسياً، وعقدياً، واقتصادياً، وأخلاقياً، ومن أبرز النقاط التى يلتقون فيها مع القرامطة «الباطنية» نقطتان:

الأولى: شروط القبول فى الجمعيات الروتارية، والتنظيم القرامطى الباطنى: إذ كان القرامطة لا يقبلون من يريد الانضمام إلى صفوفهم، إلا الأشخاص الذين تجرى الاختبارات لهم، ووضعهم تحت الرقابة مدة طويلة[1]، وكذلك هى نفس شروط الروتارى سواء بسواء[2].

الثانية: العمل السرى فى القرامطة، وفى مؤسسات الروتارى، واتجاهاته واحدة، فكلمة «قرمط» معناها: «العلم السرى» كما يقول «فيليب حتى»[3].

وكذلك القسم الذى من يريد الدخول فى جماعات الروتارى سرى للغاية[4].

وتسلك الروتارية طريقة التدريج بالنسبة للأفراد الذين وقع عليهم الاختيار للدخول فى هذه المؤسسات، وهى نفس الطريقة التى سلكتها الباطنية من قبلهم سواء بسواء[5].

وعند دخول الأشخاص لأول مرة، تعمل لهم الحفلات، وتقدم لهم ألوان من الغذاء والعشاء والمشروبات من كل ما تشتهى الأنفس، وتلذ الأعين، وتقدم لهم المسرحيات ذات الطابع الإنحلالى على هيئة ترفيه وترويح عن النفس، وفى أثناء ذلك تكون هناك العيون الروتارية الخبيثة تراقب وتفحص وتختبر، لتلتقط من بين هؤلاء الأشخاص الذين تتوافر فيهم الشروط الآتية:

١ - التسامح الدينى، وفى الحقيقة هى: دعوى إلى الإلحاد والفتور الدينى والعقدى، وعدم التحمس لإقامة الشعائر الدينية والاهتمام بها.

٢ - فقدان الولاء الوطنى، بمعنى: أن الإنسان يفقد وطنيته، ويضعف حماسه لوطنه.

---

(١) الأسفراينى: «التبصير فى الدين»، ص: ١٩٨.

(٢) د. أحمد شلبى: «موسوعة التاريخ الإسلامى»، ج:٧، ص: ٤٢، بتصرف.

(٣) فيليب حتى: «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين»، ج:٢، ص: ١٨٩، ط: دار الجيل، بيروت، سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

(٤) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٦٢.

(٥) الإمام الغزالى: «فضائح الباطنية»، ص: ٢١.

٣ - الشخصية والنفوذ اللذين يتمتع بهما العضو، وقد يكون النفوذ عن طريق مقدرته على بث الشائعات الضارة بالمجتمع، والقدرة على الكتابة فى المجلات، والتأثير على الآخرين[١].

ولمن تتوافر فيه هذه الشروط، تتدرج به الروتارية إلى مرحلة أعلى ومنزلة أرفع مما قبلها، وتقدم له المعونات المادية، مما يشجعه على الاستمرار فى حبال هذه الجمعيات التى تعمل على المزيد من انسلاخه من دينه ووطنيته، والإيحاء إليه بألفاظ خداعة، فإذا لمسوا فى هذا الشخص الانسجام لهذه المبادىء، نقل إلى درجة أعلى يشبع فيها رغباته وشهواته المادية، وانفعالاته المعنوية، ويصل أخيراً إلى المرحلة التى يصبح فيها أداة طيعة فى أيدى قادة هذه المؤسسات[٢].

والباحث فى أهداف الجمعيات الروتارية يجد أن لها هدفان: هدف ظاهر، وهدف خفى، أما الهدف الظاهر، فهو: النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية، ومساعدة المحتاجين، وإعانة ذوى العاهات والعجزة عن العمل، وتقديم العون المادى للمجتمعات النصرانية والإسلامية على السواء.

وقد بلغ الدهاء فى جمعيات الروتارى: أن تغلغلت فى كثير من البلاد المسلمة، ووصل بها الأمر: أن قدمت العون المادى لأبناء جامعة الأزهر، فى صورة تقديم أدوات ووسائل تعاون وتساعد الطلبة المكفوفين على تسجيل المحاضرات عن طريق تقديم العون لهم بشراء أجهزة التسجيل على نفقتها الخاصة، وفات على المسئولين بجامعة الأزهر: أنها - فى الحقيقة - مخططات خطيرة تؤدى وتلعب فى التأثير على طلاب الأزهر، للاستيلاء على خواطرهم، وتحبيبهم فى هذه الجمعيات، حتى لا يقاوموها، أو يقفوا فى وجهها[٣].

ومما يحكى أن الكاتب المصرى أنيس منصور انضم لأندية الروتارى وظل عشر سنوات فى داخل الإطار الروتارى، ولم يعرف عن الروتاريين شيئاً.

وصرح يوماً: «اشتركت على سبيل العلم بالشىء فى إحدى جماعات

(١) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية»، ص: ١٦٤، بتصرف.
(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق، ص: ١٥٤.

الروتارى منذ أكثر من عشر سنوات، وكان اشتراكى نتيجة لضغط شديد من الأصدقاء، قالوا لى: تعالى وتفرج لكى تزداد معلوماتك ومعارفك بدلاً من أن تدفن رأسك وحياتك كلها فى الكتب، يا أخى أنت درت حول الأرض شرقاً وغرباً وسوف يأتى العالم كله إليك، هيا اشترك، وذهبت واشتركت، وفى اليوم الأول كان حفل غداء، والغداء أهم حدث أسبوعى فى جمعيات الروتارى وفى أثناء الغداء أو بعده، كان يقال لنا: جاءنا مستر «كوكو ماكوكو» من اليابان، وهو عضو الروتارى المركزى فى طوكيو، ويحمل إليكم تحيات السيد «أكوماكو» الرئيس الفخرى، ويتعالى التصفيق. ثم يتبادل الزائر اليابانى ورئيس الروتارى المصرى الأعلام.

ومع التصفيق يجلس الزائر، لنسمع عن زائر آخر جاء من الهند، ويحمل تحيات الهنود، وزائر ثالث من أمريكا. وهكذا غداء وتصفيق، وإعلام وأعلام، ولا شىء بعد هذا»[1].

إن الواقع - إن صحت هذه المهزلة التى حكاها أنيس منصور - يبرهن على أن هذه الجمعيات لها تعاليم خبيثة وخفية لا تمنح ولا تعطى إلا لمن يثقون فيه، ويتأكدون من استمراره فى هذه الجمعيات.

ولا يخفى أن هذه الجمعيات المشبوهة من أشد الجمعيات خطراً وخبثاً فى طريق الإسلام، إذاً أنها تعمل على صرف الناس عن الدين والدعوة إليه وإسقاطهم للتمرغ فى الوحل والضياع.

(١) أنيس منصور (مواقف)، مقال بجريدة الأخبار المصرية، الصادرة فى ٢٨ من شهر ربيع الآخر، سنة ١٣٩٣هـ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٩٧٣م.

العلمانيـــة

العلمانية - بفتح العين - نسبة غير صحيحة إلى العالم[1]. والمعنى ما يقابل روحية كهنوتية، أو ما يقابل دينية بوجه عام، والمقصود به أن يتولى قيادة الدولة والحكم، وأجهزته ومؤسساته وخدماته: رجال زمنيون لا يستمدون خططهم وأساليبهم فى الحكم والإدارة والتشريع من الدين[2]. وإنما يستمدون ذلك من خبرتهم البشرية فى الإدارة والقانون، وأساليب العيش، وتكون الروح العامة التى توجه الدولة والمجتمع فى مؤسساته الثقافية والسياسية والتشريعية روحاً غير دينية[3].

وفى مقابل ذلك يتولى قيادة الدولة والحكم رجال يستمدون خططهم وأساليبهم فى الحكم من عدة مصادر، من جملتها: الدين، وتكون الروح العامة التى توجه الدولة والمجتمع ومؤسساتهما ذات منابع دينية أو متأثرة بالدين[4].

وقد ينحرف بعض المفكرين فى فهم العلمانية، فيجعلها نسبة إلى العلم، وهو خطأ، لأن مفهوم العلمانية بنسبتها إلى العالم يعنى: توجيه الاهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيا، وإسقاط الاهتمام بالحياة الآخرة، وبعبارة أشمل وأدق: تعنى إما مجرد استبعاد الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا فى السياسة والاقتصاد

---

(١) د. يحيى هاشم حسن فرغل: «حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب»، ص: ٧، ط: دار الصابونى، بالقاهرة، سنة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) د. محمد يحيى: «ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين»، ص: ٧١، ط: الأولى، مؤسسة الزهراء للإعلام العربى، بالقاهرة، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) د. روجيه جارودى: «ماركسية العشرين»، ص: ١٤٤، ترجمة: نزيه حكيم، ط: الأولى، دار الآداب، بيروت، سنة: ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

(٤) محمد مهدى شمس الدين: «حول العلمانية»، مقال بمجلة (الهادى)، العدد: الثانى، السنة: الخامسة، ص: ٩٧، سنة: ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، بيروت، لبنان.

والعلم والأخلاق والتربية. وإما أنها تعنى: إسقاط الدين بالكلية، واعتباره أفيوناً للشعوب يخدرها عن الاهتمام بحياتها التى لا حياة بعدها[1].

هذا ولما كانت العلمانية بمفهوم الاستبعاد أو بمفهوم الإسقاط تنفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا، فإنها بحسب الظروف والدعاوى التى نشأت فى ظلها تستدعى العلم، ليقوم بهذا التأثير. وهذا هو عذر المخطئين فى الخلط بين مفهوم العلمانية ومفهوم العلم، وهو فى نفس الوقت: خطأ المعتدلين عن استبعاد الدين باستدعاء العلم، لأن العلم بطبيعته أداة للتنفيذ، وليس مرجعاً للتوجيه[2].

وإذا بحثنا عن الأسباب التى أدت إلى ظهور العلمانية، نجد أن التاريخ يقول لنا: أنه من الأساس اعترفت النصرانية بوجود سلطتين: سلطة الله، وسلطة قيصر، وذلك فى الجواب المشهور المنسوب إلى عيسى - عليه السلام - رداً على السؤال الذى وجهه إليه اليهود حول ولائه السياسى[3]. وقد غلب جانب الكنيسة منذ بدايات العصور الوسطى المسيحية على جميع جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية فى أوروبا بشكل خاص، وفى جميع العالم المسيحى بوجه عام. فكانت الكنيسة طيلة فترة العصور الوسطى المسيحية بصورة مباشرة أو غير مباشرة تكاد أن تكون صاحبة السلطان المطلق على كل شىء، فلها بكونها مؤسسة دينية سلطان مطلق على روح الفرد وعقله. كما أن لها لهذا الاعتبار نفسه سلطان على الأسرة من حيث نشأتها وصيرورتها، وحلها، ولها من حيث أنها تمثل سلطان الله على الأرض: سلطة على المجتمع ومؤسساته السياسية المتمثلة فى الدولة والإمارات الإقطاعية[4].

---

(١) د. يحيى هاشم فرغل: «حقيقة العلمانية»، ص: ٧، د. محمد البهى: «العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق»، ص: ٣، ط: مجلة (الفكر الإسلامى) ببيروت، محاضرة ألقيت بدار الفتوى، ٢ من شهر ربيع الآخر، سنة: ١٣٩١هـ - ٢٧ مايو، سنة: ١٩٧١م.

(٢) د. يحيى هاشم فرغل: «حقيقة العلمانية»، ص: ٨، باختصار وتصرف.

(٣) إنجيل متى، إصحاح (٢٢)، فقرة (٢١).

(٤) محمد قطب: «العلمانية»، ص: ٢-٣، محاضرة ألقيت بقسم الثقافة الإسلامية فى كلية الشريعة بالرياض، البرنامج العام، العام الدراسى: ١٣٩٩هـ-١٤٠٠هـ.
- محمد مهدى شمس الدين: «حول العلمانية»، ص: ٨٣-٨٤.

وقد حدثت فى نهاية العصور الوسطى المسيحية فى أوروبا بعض المتغيرات الكبرى، التى أدت إلى إحداث بعض الاهتزاز على نظام العلاقات، الذى كانت الكنيسة تحتل قمته العليا. ومن هذه المتغيرات السياسية الدولية: دخول العثمانيين إلى القسطنطينية، سنة ٨٥٧هـ-١٤٥٣م. والنشاط المالى بنمو التجارة، وتبادل السلع والمنتجات بين الأمارات الإقطاعية داخل كل دولة، وبين الدول نفسها، وحقل العلوم بإنجاز بعض الاكتشافات المهمة فى الفلك، والجغرافيا وغيرهما، والآداب بإحياء التراث اليونانى والرومانى القديم. هذه المتغيرات فى حقول السياسة والعلم والمال والفن أدخلت - كما قلنا - بعض الاهتزاز على نظام العلاقات الذى ظل سائداً طيلة العصور الوسطى النصرانية، وأدت إلى طرح أسئلة أساسية حول عدالة الوضع القائم. وبدأت الكارثة حين تبين أن الكنيسة لم تكن مؤهلة لاستيعاب المتغيرات الجديدة، والتكيف معها[١]. فحصل نزاع على السلطة بين رجال الكنيسة وبين رجال الحكومة المدنية، انتهى هذا النزاع إلى فصل سلطة الكنيسة عن الحياة المدنية ونظام الحكم، حيث كان للدولة مجال، وللكنيسة مجال[٢]. فحصل صراع بين الكنيسة من جهة والقوى الجديدة فى حقول السياسة والعلم والاجتماع والتجارة وغيرها من حقول الحياة[٣].

وبعض المؤرخين يعزون أسباب ظهور العلمانية إلى مدى قصور المفاهيم الدينية النصرانية فى المجتمع الأوروبى عن مجاراة النهضة العلمية التى حدثت فى بداية القرن السابع عشر الميلادى.

وهناك من يعزو أسباب ظهورها إلى ما كانت تهدف إليه الماسونية والمخططات الصهيونية، والثورة الفرنسية من تحطيم القوائم التى شكلتها النصرانية والكنيسة، للوقوف فى وجه اليهود، وصد نشاطهم فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية، إذ أفسدوا الحياة فى أمريكا على وجه الخصوص، ودمروا

---

(١) محمد مهدى شمس الدين: «حول العلمانية»، ص: ٨٥.

(٢) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية والحياة المعاصرة»، ص: ١٧٠، ط: دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، سنة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) محمد قطب: «العلمانية»..

الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمور والبغاء، والأزياء الماجنة، والأشرطة الوضيعة، والمسرحيات البذيئة. والآداب الساقطة عبر مخطط مدروس ومنظم. هذا فضلاً عن إفساد الحياة السياسية والتلاعب البشع بالعالم ككل، وبالأسعار والأسواق، وامتصاص الفوائد الربوية الباهظة، والتآمر على الحكومات والشعوب؛ إذ هدفهم الأساسى: تحطيم العالم فى عقائده، وأخلاقه وروابطه، حتى يتمكنوا من القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاومة[1]. ولم يروا سبيلاً لتطبيق صهيونيتهم ومخططاتهم إلا عن طريق الدعوة العلمانية، أى: الفصل بين الدين والدولة؛ وبذلك يستطيع اليهود أن يبثوا نشاطهم فى المجتمعات الأوروبية وغيرها من المجتمعات النصرانية، ويأخذوا مكانتهم فيها[2].

ومن خلال ما سبق من سطور، يتبين: أن الدعوة العلمانية كان لها أبعد الأثر فى الفكر الغربى؛ إذ سادته عوامل أربعة مهمة، هى:

١ - نظام الاقتصاد القائم على الربا.

٢ - القانون الوضعى المنفصل عن شرائع الله - سبحانه وتعالى -.

٣ - التعليم اللا دينى المتحرر من نفوذ الكنيسة المتسلطة.

٤ - ما يسمونه بالديمقراطية التى تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة[3].

والعلمانية أولاً وأخيراً - كما دلتنا البحوث - : عبارة عن أمرين متكاملين، لا تكون الدولة علمانية بدونهما. هما:

الأول: مصدر الشرعية فى السلطة السياسية.

الثانى: التشريع الدستورى والقانونى فى الدولة.

فبالنسبة للأمر الأول: تعنى العلمانية أن الشرعية التى تخول السلطة السياسية أن تحكم المجتمع وتسيره وفقاً لمفاهيمها وخططها غير المستمدة من الدين، فالله

---

(١) د. عبدالستار فتح الله سعيد: «معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دراسة علمية قرآنية»، ص: ٤٧-٤٨، ط: دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر.

(٢) أنور الجندى: «سقوط العلمانية»، ص: ١٧، ط: دار الاعتصام، بالقاهرة، سنة: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٣) أبو الأعلى المودودى: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، ص: ١٢٦-١٢٨، ط: دار الخلافة، بالقاهرة، بتصرف واختصار.

-سبحانه وتعالى- أو الدين ليس مصدراً للشرعية التى تتمتع بها السلطة السياسية فى الدولة العثمانية، ولا تتوقف شرعية السلطة السياسية على أن تنال اعترافاً بها من السلطة الدينية[١].

وبالنسبة للأمر الثانى: تعنى العلمانية لدى دعاتها: أن يقوم التشريع القانونى والدستورى فى المجتمع والدولة، على أساس غير دينى، ويشمل ذلك كل مجالات التشريع والحياة[٢].

وبجانب نفوذ الشرق والغرب فى العالم الإسلامى، نجد أن سماسرة العلمانية يروجون لها فى البلاد الإسلامية بمجموعة من الخرافات:

الأولى: أنها سر التقدم فى أوروبا.

الثانية: أنها الأسلوب الوحيد لتحرير العلم من الدين.

الثالثة: أن الإسلام الحاكم للحياة الدنيا قضية مرفوضة أساساً، وأنه أى الإسلام - الحاكم أثبت فشله فى التطبيق.

الرابعة: أن العلمانية لا تتعارض مع الإسلام[٣].

وكل هذه الخرافات لا واقع لها، ولكنها جاءت على ألسنة سماسرة الإلحاد والعلمانية والتخريب. وليس من شأنى أن أعرض لهذه الخرافات أو أرد عليها، وما كانت الخرافات يوماً تستحق المواجهة لولا أن لهذه الخرافات سماسرة وذيولاً.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى والاحتلال يفرض إرادته على العالم الإسلامى عن طريق القوة، والغزو الفكرى والثقافى[٤]. وقد بدأت باكورة الغزو الثقافى فى العالم الإسلامى بإقصاء المنهاج الإسلامى فى الشريعة والاقتصاد والتعليم، وإحلال منهاج علمانى بديلاً عنه. وقد بدا هذا واضحاً فى محاولات فرض القانون الوضعى بديلاً للشريعة الإسلامية، وظهرت هذه المؤامرة فى إلغاء

---

(١) محمد مهدى شمس الدين: حول العلمانية، ص: ٨١، بتصرف.

(٢) المصدر السابق، بتصرف.

(٣) د. يحيى هاشم فرغل: «حقيقة العلمانية»، ص: ٨.

(٤) حسن أحمد أمين: «دليل المسلم الحزين»، ص: ٤-٥، ط: الثالثة، مكتبة مدبولى بالقاهرة، سنة: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

المحاكم الشرعية من بعض الدول المسلمة: مثل: المغرب العربى ومصر والسودان وسوريا، وغيرها، كذلك ظهرت بوادر العلمانية فى العالم الإسلامى بإنشاء الإرساليات التنصيرية، والسيطرة على مناهج المدارس الوطنية، وتغيير مناهجها من دراسة القرآن الكريم وعلوم العقيدة، إلى دراسة اللغات الأجنبية بطريقة تحبب العربى والمسلم فيها، وتنفره من اللغة العربية، وعلوم الشريعة الإسلامية[1].

وإن الباحث فى أمر العلمانية: يجد أن تركيا هى الدولة المسلمة فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية أساساً لسياستها، منذ تولى مصطفى كمال أتاتورك السلطة فيها، وذلك بعد الحرب العالمية الأولى.

والواقع أن تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة. وقصد الحلفاء الغربيون من إعلان تركيا العلمانية، وفصل الإسلام عن الدولة، وهى مركز الخلافة الإسلامية أمرين:

الأمر الأول: إلغاء الخلافة الإسلامية كأداة تجميع للمسلمين، عرب وعجم، على السواء، فى آسيا وإفريقيا، إذ سيترتب على إلغاء الخلافة: إمكان تمزيق المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية، وعندئذ يمكن المناداة بالقومية العربية لتوسيع الهوة بين المسلمين، ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غيرهم من المسلمين[2].

الأمر الثانى: الذى قصده الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية الأولى.

- وهم أصحاب العلمانية الغربية - من إعلان تركيا للعلمانية، عزلها عن التراث الإسلامى، حتى تكون أجيالها القادمة فى بعد عن الصلة بالإسلام، وعن العرب معاً، وبذلك تصبح تركيا المسلمة قريبة من الغرب فى ميوله واتجاهاته. ولكى يتم التحول عن الإسلام كانت كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بدلاً من الحروف العربية[3].

---

(١) د. سامى عزيز: «الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى»، ص: ٢٢٤، ط: دار الكتاب العربى، القاهرة، سنة: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

- أنور الجندى: «أصالة الفكر العربى الإسلامى»، ص: ٢٥، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة.

(٢) د. محمد البهى: «العلمانية والإسلام»، ص: ٦٦، مجلة (الفكر الإسلامى)، بيروت.

(٣) د. محمد البهى: «العلمانية والإسلام»، ص: ٦٧.

والتقدم الصناعى والعلمى فى تركيا العلمانية لم يكن بسبب الفصل بين الدين والدولة، أى: لم يكن بسبب إبعاد الإسلام عن شئون الدولة وما تجر إليه مبادئه - كما يقال ويدعى - من التخلف، وإنما كان مكافأة من الغرب والشرق على السواء، على إبعادها للإسلام، فكان بسبب المساعدات الأجنبية التى قدمت لتركيا من جانب الاتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة الأمريكية على الخصوص من الغرب، وهى مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية، لتتحول إلى نموذج بين البلاد الإسلامية[1].

ولا يخفى على باحث أن خطط الاحتلال أو ما يسمونه بالاستعمار والمذاهب الهدامة مهدت إلى تقبل الفكر العلمانى، ثم الإيمان به. وقد شهدت المجتمعات المسلمة أعنف موجة ثقافية تعمل للإنسلاخ الكامل عن الإسلام، وقد تزعمها المثقفون المتفرنجون الذين تربوا تربية أوروبية، وتثقفوا بالثقافة الغربية فى معاهد العلم الإنجليزى والفرنسى. وكان من الطبيعى أن يعود هؤلاء الشباب بعد تعليمهم فى فرنسا وانجلترا بآراء حديثة تتمثل فى التحرر الفكرى، والتحرر الاقتصادى، وتتجه بأنظارها إلى هذه الدول الأوروبية كمثل أعلى، تحاول تقليده، وأكملت هذه المجموعة من الجيل الناشىء مجهودات بعثات التبشير، والبعثات العلمانية التى كانت تعمل فى البلاد[2].

ويمكن أن نلمس هذا الإعجاب والتقليد بالغرب عند رفاعة رافع الطهطاوى، فكل ما كتبه هو صدى لتفكير أوروبا، وبخاصة فرنسا، وأفكاره لأول مرة تظهر فى المجتمع المسلم، وربما رددها عن حسن قصد، دون أن يسبر أغوارها، ولكنه على كل حال قد وضع البذور للأخذ بنظم الغرب العلمانية، ثم تعهد هذه من جاء بعده بالسقى والرعاية، حتى نمت وضربت جذورها فى الأرض[3].

---

(١) د. يحيى هاشم فرغل: «حقيقة العلمانية»، ص: ٢٩٤.

(٢) د. السيد أحمد فرج: «جذور العلمانية»، ص: ٧١-٧٢، ط: دار الوفاء، بالمنصورة، سنة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣) د. محمد محمد حسين: «الإسلام والحضارة الغربية»، ص: ١٨-١٩، ط: الخامسة، مؤسسة الرسالة، ببيروت، سنة: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

فلأول مرة فى البيئة المسلمة نجد كلاماً عن الوطن والوطنية، وحب الوطن بالمعنى القومى الحديث فى أوروبا، ولأول مرة نجد كلاماً عن الحرية بوصفها الأساس فى نهضة أية أمة وفى تقدمها[1]. ثم نرى بعد ذلك كلاماً كثيراً عن المرأة، لا شك فيه أنه من وحى الحياة الاجتماعية الأوروبية، مثل: تعليم البنات، ومنع تعدد الزوجات، واختلاط الجنسين[2].

ومن هذه الطبقة كذلك: منصور فهمى، وكذلك على عبدالرازق الخريج الأزهرى، والقاضى الشرعى، وذلك بإصداره كتاب «الإسلام وأصول الحكم» والذى طرح فيه قضية العلمانية للمرة الأولى فى صميم الفكر الإسلامى حين أنكر أن تكون الخلافة، أو القضاء، أو وظائف الحكم، ومراكز الدولة جميعاً من الدين فى شىء، ووصفها بأنها: خطط دنيوية صرفة، لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها، ولم ينكرها، ولا أمر بها، ولا نهى عنها، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل، وتجارب الأمم وقواعد السياسة، وحاول أن يصل إلى هذه النتيجة من كل طريق[3].

وكتابه هذا: جل مادته من كتب الإفرنج التى كتبوها فى الخلافة، ومن العجيب أن تكون مادته ما ذكر فى مثل كتاب «الأغانى»، و«العقد الفريد»، ولم يكن من مراجعه شىء من صحيح البخارى، وصحيح مسلم، ولا موطأ مالك، ولا مسند أحمد، ولا غيرها من كتب يعول عليها، وهو فى مجمله: مخالف لما لا يحصى من النصوص القطعية المجمع عليها، والمعلومة من الدين بالضرورة[4].

وفى سنة ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م: كتب إسماعيل مظهر- من رجال ودعاة العلمانية بمصر - يدعو إلى نقض العقلية المسلمة، وإحلال العقلية الأوروبية

---

(١) د. محمود فهمى حجازى: «أصول الفكر العربى الحديث عن الطهطاوى»، ص: ٦٤-٦٥، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٢) المصدر السابق، ص: ٧٩.

(٣) د. محمد محمد حسين: «الاتجاهات الوطنية فى الآداب المعاصرة»، ج:٢، ص: ٨٢-٨٣، ط: مكتبة الآداب.
- د. محمد جابر الأنصارى: «تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى»، ص: ٢١، ط: الأولى، الكويت.

(٤) أنور الجندى: «الإسلامية نظام مجتمع ومنهاج حياة»، ص: ١١٣-١١٤، ط: دار الاعتصام، بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: دار النصر للطباعة الإسلامية.

العلمانية، ويقول: إننى أتوقع ذلك وعسى أن يكون قريباً، لنخرج من ظلمات الإسلام وأسلوبه الغيبى إلى الأسلوب الغربى اليقينى[١].

والدكتور زكى نجيب محمود له مقال أسماه: «ردة فى عالم المرأة»[٢] يهاجم فيه المرأة المسلمة، ويهاجم الدين والمتدينين[٣]، ويدعو فيه المرأة المسلمة إلى خلع الحجاب، وإلقائه فى البحر، بل إغراقه فى اليم، ليصبح نسياً منسياً، كما يدعو المرأة المسلمة إلى محاكاة المرأة الغربية فى كل ما تأتى وما تذر.

فالقضية إذن ليست تشكيك وشبهات، بل سلخ ونهب وعلمنة واجتثاث، ثم محاولة للإذابة فى كيان آخر وثقافة مغايرة، هى: العلمانية التى يرون أنها الأحدث والأرقى[٤].

فاستطاع المستعمرون أن يكونوا من العناصر الضعيفة الإيمان قوى منظمة بعضها أحزاب سياسية، وبعضها اتجاهات فكرية تربت على عين المحتل الحاقد وسمعه، وحشيت أذهانها بما أملاه أعداء الإسلام، وظل الشعور بالنقص والتبعية للغرب هو إحساسها الدائم[٥].

واختير من تلك القوى أفراد قدر المحتل أنهم أفضل المطايا له، فصنع لهم بطولات ضخمة، وأثار حولهم الغبار الكثيف، حتى خيل للأمة أن على أيديهم مفتاح نهضتها وبناء مجدها، فطأطأت لهم الرأس، حتى إذا تمكنوا منها أنزلوا بها من الذل والدمار وخراب العقيدة ما لم تذقه على يد أسيادهم[٦].

وبهذا نجحت خطة المحتلين الكفرة والمنصرين فى فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، دون جلبة ولا ضوضاء[٧].

---

(١) إسماعيل مظهر: «تاريخ الفكر العربى»، ص: ١١٥، ط: الأولى، القاهرة.

(٢) نشر هذا المقال بجريدة «الأهرام»، العدد الصادر فى ٩ رجب، سنة ١٤٠٤هـ- الموافق ٩ أبريل، سنة ١٩٨٤م ص٤.

(٣) د. عبدالحى الفرماوى: «صحوة فى عالم المرأة»، ص: ٣، ط: مكتبة التراث الإسلامى.

(٤) د. حسان محمد حسان: «وسائل مقاومة الغزو الفكرى»، ص: ٥٦، ط: رابطة العالم الإسلامى، بمكة المكرمة، سنة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٥) د. سفر بن عبدالرحمن الحوالى: «العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة»، ص: ٥٤٢، ط: دار مكة، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٦) المصدر السابق.

(٧) د. السيد أحمد فرج: «جذور العلمانية»، ص: ٤٤.

وقد بلغت هذه الخطة أقصى مداها على يد «كرومر» فى مصر، ولأن مصر أكبر الدول المسلمة العربية، فقد كان تأثيرها بالتالى كبيراً على الأمة الإسلامية، ساعد على ذلك رغبة مستترة من هذه الأمم المغلوبة فى تقليد الأمم الأوروبية الغالبة، وهو تقليد جرهم إلى الإعجاب بالأوربيين والاستكانة لهم، والرضا بسلطتهم عليهم[1].

وقد ظهرت أمارات المنهاج العلمانى فى البلاد العربية والإسلامية من خلال النظم السياسية السائدة فى العالم العربى والإسلامى، وهو المنهاج الذى يقوم على أساس إنشاء برلمان ودستور وأحزاب، كما هو حاصل وواقع فى معظم البلدان العربية والإسلامية[2].

وإن الباحث فى مؤامرات العلمانيين العملية، يجد أنها تتلخص فى هذه النقاط:

- الطعن فى حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن الكريم والنبوة.
- القول بأن الإسلام استنفد أغراضه.
- القول بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية، أو على أحسن الأحوال دين بالمفهوم الغربى الضيق.
- القول بأن الفقه الإسلامى مأخوذ من القانون الرومانى.
- الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع الحضارة.
- الدعوة إلى نبذ اللغة العربية، وهجر حروفها وأساليبها.
- إثارة ما يسمى بقضية تحرير المرأة.
- تهوين شأن الحضارة الإسلامية وتاريخها.
- بعث الحركات الهدامة، والطوائف الضالة، وتضخيم أدوارها.
- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها.

---

(١) عبدالقادر المغربى: «جمال الدين الأفغانى، خاطرات وأحاديث»، عن: ٩٨، سلسلة كتاب «اقرأ»، رقم ٦٨، ط: الثانية، دار المعارف.

(٢) أنور الجندى: «سقوط العلمانية»، ص: ٢٦-٢٧، بتصرف.

- وضع منهاج لا دينى للبحث العلمى[1].

وإن المتتبع لنشاط التنصير والاستشراق: يجد أن هذا النشاط يركز على النقاط المذكورة آنفاً؛ مما يؤكد أن التنصير والاستشراق والعلمانية تهدف فيما تهدف إلى إبعاد الإسلام عن المسلمين. وبعبارة أخرى: إبعاد المسلمين عن الإسلام سلوكاً ونظاماً.

وإذا كان ما أعلنته تركيا من الفصل بين الدين والدولة حدثاً علمانياً رسمياً، فإن الاحتلال الصليبى الوثنى الغربى مارس الفصل بين الدين والدولة فى الدول التى سيطر عليها فى تدرج وفى إحكام، وذلك فى غيبة من الوعى الإسلامى، ولم يفلت أى بلد إسلامى أو أكثرية إسلامية فى آسيا وإفريقيا من الاستعمار الغربى. ومن ممارسة الاستعمار العلمانية، وإضعاف الإسلام، أبعد الإسلام:

١ - فى سياسة الحكم، فنظام الحكم اليوم فى سيره، إما علمانى غربى، أى: رأسمالى، وإما علمانى شرقى، أى: بلشفى ماركسى.

٢ - وفى سياسة التوجيه والتعليم. وقد يشار إلى الإسلام فى بعض مناهج التعليم فى الإعدادى والثانوى، ويغفل تماماً فى التعليم العالى والجامعات، ماعدا المعاهد الدينية الأزهرية، وجامعات قطر والمملكة العربية السعودية، وجامعة الأزهر، والزيتونة.

٣ - وفى سياسة التشريع والقضاء. ما لم يلغه الاستعمار من مبادىء الإسلام أو مظاهره: ألغاه الحكم الوطنى بعد الاستقلال.

٤ - وفى شئون الدعوة الإسلامية ألغيت الأوقاف الإسلامية، واستولى عليها وبيعت. وبقيت أسماء وزارات للأوقاف، لتخفى ما ألغى من الأوقاف.

٥ - وفى سياسة المال والاقتصاد: لا يعنى فيها إن كانت ملائمة أو غير ملائمة للمبادىء الإسلامية، والاتجاه الإسلامى من حياة الإنسان[2].

---

(١) د. سفر بن عبدالرحمن الحوالى: «العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة»، ص: ٥٤٤-٥٥٠.

(٢) د. محمد البهى: «العلمانية والإسلام»، ص: ٧١-٧٢، بتصرف.

ومما يجدر أن يلحظه الباحث: أن مجال التعليم ظهر فيه المنهاج العلمانى واضحاً فى الدعوة إلى إحياء الدراسات التاريخية السابقة للإسلام، وإحياء الحضارات القديمة، كالحضارة الفرعونية فى مصر، والفينيقية فى الشام، والبابلية، والآشورية فى العراق! بقصد عزل العالم العربى والإسلامى القائم على منهاج كامل للحياة، ورابطة قوية تجمع شمل العرب والمسلمين على رابطة الأخوة والدين. كما أن هناك دعوة تحاك إلى تمصير اللغة، وتمصير الأدب، وتمصير القانون، وتمصير التربية، وتمصير التاريخ. وكلها محاولات علمانية تريد القضاء على مفهوم الرابطة العربية القائمة على أسس وطيدة، عميقة الجذور من اللغة والتاريخ[1].

ويذكر الباحثون أنه جرت دعوة إلى العامية فى اللغة العربية، وإلى الاقتباس من الأساليب الغربية فى التعليم، وإعلاء شأن اللغات الأجنبية والتاريخ الأوروبى. كما يفضل بعض الأساتذة والمدرسين العرب والمسلمين فى تدريسهم لمواد العلوم الطبيعية والرياضية والمواد الأجنبية؛ إذ تجرهم العلمانية إلى التدريس بكلمات إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية، بدلاً من الكلمات العربية[2].

ومما لا يفوت الباحث: أن المحتلين افتتحوا مدارس غربية، قلباً وقالباً فى المراكز الثقافية الكبرى للعالم الإسلامى، ورسموا المخططات لاستئصال التعليم الأصلى، من هذه المدارس التى أنشئت فى لاهور، وبيروت، وإسلامبول، والقاهرة، وغيرها، عدا المدارس الأقل شأناً، التى انتشرت فى الهند وبلاد الشام ومصر، وبصفة أظهر فى بلاد المغرب[3].

ومما لا شك فيه: أن هذه المدارس كان لها أعظم الأثر فى توجيه النهضة الفكرية وجهة لا دينية، وتوسيع الهوة بين التعليم الدينى واللا دينى[4].

وبعد:

فهذه العلمانية فى وظيفتها التخريبية ماذا تكون؟!

---

(١) د. مبارك حسن حسين: «التيارات الفكرية والحركات المعاصرة»، ص: ١٨٥.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) د. سفر بن عبدالرحمن الحوالى: «العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها فى الحياة الإسلامية المعاصرة»، ص: ٥٩٣-٥٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص: ٥٩٤.

أيكفى أن نقول: إنها صورة العصر التى تزخرفت بداء الإلحاد.

أيكفى أن نقول: عباءة الفساد، ونظريته الفكرية المطروحة أمام العقل المعاصر المترنح؟؟

لقد اتضح لنا: أن العلمانية تدعونا إلى استبعاد الدين من مجال الفكر والعلم والسياسة والتشريع والاقتصاد والتربية والأدب والفن.

ذكر المستشرق «لوشاتليه»[1] أن القس «اكنفلد» قال فى مناقشة له بمؤتمر أدنبرج التنصيرى - والذى سبق أن أشرنا إليه - ونحن نعرض للتنصير وذلك بعد أن ذكر أن الخطر الإسلامى صار أمره معروفاً عند الجميع «أن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية، مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية»[2].

وهنا يكون من الواضح: أن العلمانية وإن كانت تستبعد الدين، إلا أنها تجد فى الدين المضاد حليفاً طبعياً يشاركها فى العمل على تحطيم الدين الأصلى السائد.

ولا يخفى على أحد أن العلمانية صناعة إنسانية، جاءت لتخريب الأوطان والدين والتاريخ والمجتمع.

ومن التخريب الدينى الذى تمارسه العلمانية فى بلادنا الإسلامية: إثارتهم للفتنة الطائفية بين وقت وآخر، فكلما وجدوا للصحوة الإسلامية صوتاً يكاد يتجاوز الهمس، صرخوا فزعين، واستجاروا بالطائفية[3].

وأن المرحلة التاريخية التى يعيشها المسلمون منذ أن غزى العالم الإسلامى تفيد: أن نفى إسلامية المسلم لن ينجح، إلا بتفريغ المسلم من تاريخه وحضارته، وكافة مقوماته المميزة له، ومن الشعور بالانتماء، وهذا لن يتأتى إلا باستمرار التدفق الثقافى والحضارى الغربى[4].

---

(١) هو: مستشرق فرنسى، كان أستاذاً للاجتماع الإسلامى فى الجامعات الفرنسية، رأس تحرير مجلة (العالم الإسلامى) التى كانت تصدر فى باريس، ويكتب فيها كبار المستشرقين، وقد نشر فيها أبحاث كثيرة منها: «المركز الاقتصادى للعالم الإسلامى».
- لوشانليه: «الغارة على العالم الإسلامى»، ص: ٨-٩.

(٢) محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى: «الغارة على العالم الإسلامى»، ص: ٨٢.

(٣) د. يحيى هاشم فرغل: «حقيقة العلمانية»، ص: ٣٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص: ٣٢٧، بتصرف.

الدعوة إلى القوميات

فى القرن الماضى نشأت الدعوة القومية فى أوروبا. فبعد الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى تكونت الدول الأوروبية الحديثة على أساس القومية[١].

ومما يجدر ذكره أن اليوم الذى تحاربت فيه المعسكرات الغربية من أجل القوميات، كانت هناك حروب قبل الحرب العالمية الأولى، ولم تكن حرب مبادىء وعقائد؛ بل إنها كانت حرب قوميات، دفعت إليها وحملت عليها: النعرة القومية، والطموح القومى، وتلك طبيعة الفلسفة القومية، إذا نضجت وتخمرت، والشجرة لا تلام على ثمارها الطبعية، وجاءت الحرب الأولى بويلاتها على الدول الأوروبية[٢].

وبعد خروج أوروبا من الحرب الأولى مثخنة بالجراح، منهوكة القوى، مرهقة بالديون والتبعات، بدأ العقلاء يفكرون ويتحدثون على أساس أوسع من القوميات والوطنيات، فبدأ الحديث منذ ذلك الحين عن: الإنسانية والآفاقية، ولكنه حديث خافت محدود[٣].

وجاءت الحرب العالمية الثانية المدمرة، ولم تكن على أساس ما أثارته القومية المتطرفة من الطموح المسرف، والمجد الكاذب والمغالطات الخداعة، والدعايات الكاذبة. واستفزاز الشعور القومى.. ولما وضعت الحرب أوزارها - باضطرار من بعض، واختيار من بعض - قويت حركة الكراهة والتذمر من القومية، وأصبح نوابغ الفكر الحديث، والمفكرون الأحرار - كما يسمونهم - ينكرون عليها فى

(١) إبراهيم خليل أحمد: «المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى»، ص: ٤، ط: مكتبة الوعى العربى بالقاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢) أبو الحسن على الحسنى الندوى: «العرب والإسلام»، ص: ١١٩، ط: الثانية، مكتبة المنارة، بمكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، بجدة.

(٣) المصدر السابق.

صراحة وقوة. ويدعون إلى الجامعة الإنسانية، والرابطة العالمية، ويؤلفون فى ذلك كتباً قيمة[١].

وقد تأسس المعسكر الشيوعى الإلحادى على أساس عالمى، ورفض القوميات، وتأسس على مبدأ وعقيدة وشعار - وإن كانت إلحادية خاطئة مهلكة- واتجهت دعوته إلى جميع الأمم والشعوب والبلاد. ومن العار علينا نحن المسلمين بعامة، والعرب بخاصة أن نتمسك بالقومية، وندعو إليها، والعالم المتمدين - كما يظن أو يتوهم - بمعسكريه المتنافسين يتجه إلى العالمية والآفاقية[٢].

ولكننا - مع الأسف - نبدأ دائماً من حيث تنتهى أوروبا، فقد ولى عصر القوميات هناك. وبدأ فى شرقنا الإسلامى، بإفرازاته العفنة وآفاته الضارة، وآثاره المدمرة.

وقد اتجهت المطامع الاستعبادية الصليبية للدول الأوروبية إلى دولة الخلافة الإسلامية (العثمانية) وكانت قد بلغت أشد مراحل الضعف والانحلال، وبدأوا باستغلال الأقليات النصرانية فى ولايات مقدونيا الثلاث: مناستر، وقوصة، وسلانيك. فبثوا فيها الدعوة إلى القومية، وبواسطتها استطاعوا أن يمزقوا وحدة الدولة العثمانية، فانفصلت تلك الولايات عنها، وقامت فيها دول نصرانية باليونان والبلغار والسلاف، والرومان بعد مذابح مريعة للسكان المسلمين، أدت إلى هجرة الكثير منهم إلى نواحى الدولة العثمانية فى الأناضول[٣].

ويذكر العلماء: أن الفكرة القومية الحديثة نبتت فى عقول أعداء الإسلام من اليهود والصليبيين. فقد قام المحفل الماسونى فى تركيا بالدعوة إلى القومية التركية «الطورانية». وممن اشترك فى أبحاثه مجموعة من المستشرقين، منهم: «غولا وسكى»، و«قرة جون»، و«ماونان هارتان»، فعكفوا على اكتشاف كل ما يتعلق بالجنس التركى من تاريخ ولغة، وخصائص قومية، وحضارة وأدب، وحياة اجتماعية[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أحمد البشير: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٦٢.

(٤) أحمد بشير: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٦٢-٤٦٣ بتصرف.

ومن ناحية أخرى. كانت الدعوة للقومية العربية تبرز فى لبنان على أيدى فئة من النصارى العرب. وفى جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها، ثم فى حركة سياسية واضحة المعالم فى المؤتمر العربى الأول، الذى عقد فى باريس، سنة ١٣٣٠هـ-١٩١٢م[١].

وظهرت بعد ذلك القومية العربية كحركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهى صدى للفكر القومى، الذى سبق أن ظهر فى أوروبا[٢].

ولا يخفى أن الاحتلال الصليبى الوثنى - أو ما يسمونه بالاستعمار - هو الذى شجع الفكر القومى، وعمل على نشره بين المسلمين، حتى يجعلوا القومية بديلاً عن الدين. مما يؤدى إلى انهيار عقائدهم، ويعمل على تمزيقهم سياسياً، إذ تثور العداوات بين شعوبهم المختلفة[٣].

وقد قصد الأوربيون من نشر القومية بين المسلمين:

١ - اعتبار العقيدة عنصراً لا قيمة، وبذلك يستطيعون أن يضمنوا عدم اجتماع العالم الإسلامى، والذى طالما أخاف الأوربيين عبر التاريخ ولا يزالون يخشونه حتى الآن.

٢ - التفريق بين صفوف الأمة المسلمة بالدعوة إلى الجنس ويمكن للأجنبى أن يقطف ثمار هذا الاختلاف، ومن ذلك ما يعانيه العراق من اختلاف بين العرب والأكراد، وما يمكن أن يحدث فى المغرب بين العرب والبربر[٤].

وقد تطورت الدعوة إلى القومية العربية تطوراً يجعلها فى مصاف العقائد الدينية، وجاء فلاسفة قوميون ابتدعوا فلسفة قومية تضع القومية العربية موضع

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة، ص: ٤٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠٤.

(٤) محمود شاكر: «العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه»، ص: ٦١، ط: الأولى، سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

العقيدة الدينية. وفى مقدمة هؤلاء. ساطع الحصرى الذى قدم الرابطة القومية على الرابطة الدينية. وألّف عشرة كتب فى القومية، منها: «العروبة أولا»، ومنهم: ميشيل عفلق، وأنيس صايغ، وقسطنطين زريق، وعبدالعزيز الدورى، وأنطون سعادة، ونور الدين حاطوم، ولطفى السيد، وإسماعيل مظهر، وجورجى زيدان، وفرح أنطون، وشبلى شميل، ويعقوب صروف، وغيرهم. وجميع هؤلاء يدعون إلى قومية علمانية، «لا إسلامية». فهم يستبعدون الدين من مقومات الحركة القومية[1].

فإثارة النعرات القومية بين المسلمين مخطط صليبى رهيب، وهذا المخطط يعمل على إحياء العاطفة القومية، تلك العاطفة التى قضى عليها الإسلام وأماتها منذ العهد الأول من الرسالة المحمدية الخالدة، ومنذ أن قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلته جاهلية. ومن يخرج على أمتى يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها. ولا يفى لذى عهد عهده، فليس منى ولست منه»[2].

إن الإسلام أمات جميع أصناف هذه النعرات والعصبيات، وأحيا أخوة الإسلام، وربط الناس برباط الإيمان، وجمعهم على دعوة القرآن الكريم، أكرمهم عند الله أتقاهم، وأقربهم إلى الله أصلحهم.

ولكن الغرب قرر إحياء هذه العصبيات، وبذل الجهد والمال، وبث الرجال من وكلائه فى ديار الإسلام، حتى يعملوا على نشر هذه العاطفة القومية، التى من شأنها أن تبعد المسلم العربى عن أخيه المسلم الأعجمى، وتنشر بينهم هذه العصبية التى نهى عنها الرسول ﷺ، وحاربها الإسلام: «ليس منا من دعا إلى عصبية»[3]. وتعيد هذه الفكرة عصر الجاهلية الأول، عصر الانحطاط والقبلية،

---

(١) أحمد بشير: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٤٦٥.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ج٣، ص: ١٤٧٦. ورواه أحمد فى مسنده، ج٢، ص: ٢٩٦.

(٣) رواه أبو داود فى سننه، كتاب السنة، باب فى العصبية، ج:٤، ص: ٣٣٢.

وهذه الفكرة وحدها كفيلة بتفتيت وحدة المسلمين، وكافية لتمزيق شملهم، وتفريق كلمتهم، وإشاعة العداوة والبغضاء بينهم، وقد كان للصليبيين الوثنيين الغربيين ما أرادوا، فقد نفذوا مخططهم، وأشاعوا الفكرة القومية بيننا، ونشروا لها المبادىء المختلفة، تبعاً لاختلاف فكرة القوميات عندهم[1].

إن من يرتكب هذه الجريمة - جريمة القومية - هو الذى يمهد لضياع هذه الأمة الكريمة وانهيارها وإفلاسها، ويتآمر على وجودها وقوتها، ويحولها من أمة مؤمنة منظمة قوية ذات عقيدة وهدف ورسالة إلى أمة متشككة ضعيفة، لا عقيدة لها، ولا هدف، ولا رسالة[2].

ومن المؤسف المحزن المخجل: أن يقوم رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وعن قطع الصلة عن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد، والأشتات والأضداد. إنها جريمة قومية، تبز جميع الجرائم القومية التى سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع الحركات الهداهة المعروفة فى التاريخ[3].

وإن الباحث بعمق: يجد أن أخوف ما كان يخافه رسول الله ﷺ على المسلمين أن تظهر فيهم العصبيات الجاهلية، فتفرق كلمتهم، فكان ﷺ يقول لأصحابه دائماً: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[4].

ولا يمكن بقاء الرابطة الإسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية، ومن المغالطة: الزعم بأن هذا الزمان إسلامى، مع أن أهله يتغنون بالعنصرية فى كل قطر من أقطارهم، متأثرين بالأوربيين.

ونتيجة للدعوة إلى القومية التى خطط لها أعداء الإسلام «بخبث ودهاء» بدأ

---

(١) محمد محمود الصواف: «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام»، ص: ٢٤-٢٥، بتصرف.

(٢) أبو الأعلى المودودى: «العرب والإسلام»، ص:٧٣، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، سنة: ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٣) المصدر السابق، ص: ٧٤.

(٤) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى، كتاب الأدب، باب ما جاء فى قول الرجل ويلك، ج: ١٠، ص: ٥٥٣، رقم الحديث ٦١٦٦، ورواه البخارى - أيضاً - فى صحيحه، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ج:١، ص:٣٨.

ينشأ فى الهند مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية، بل فيهم من يريد أن ينقطع عن ماء زمزم، ويتصل بماء «جنجا» وفى هؤلاء من تبعته أهواؤه على اتخاذ «بهيم» و«أرجن» و«رامها» أبطال الهندوس أبطالاً له»[1].

وإذا كان مما يدعو إلى العجب حقاً: أن الناس فى أوربا وأمريكا لم يدركوا أكثر حقائق الوجود الإنسانى بساطة ووضوحاً، وهى: انحدار البشر من أصل واحد، فإن أكثر من هذا عجباً، وأدعى إلى الرثاء البالغ، والأسى المرير: أن يتنكر فريق من المنتسبين إلى الإسلام بتأثير وزعامة أفراد غير منتسبين للإسلام ومعادين له، لهذه الحقيقة التى يقررها الإسلام فى كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ، ويقيم على أساسها منهاج حياة مثلى للإنسانية جمعاء، اعتقاداً وتفكيراً وتربية وتشريعاً ونظاماً فى السياسة والاجتماع والاقتصاد، لا يبلغ البشر ما ينشدون من حق وعدل وأمن وسلام إلا فى حماه، وتحت ظلاله الوارفة الندية الطيبة[2].

ولعل من أوضح ما يعكس هذا التنكر للحقيقة الإنسانية من حيث وحدة الأصل والنشأة والتكوين - كما يجليها منهاج الإسلام - ما تلقفه فريق من الناس من أفكار ونظريات عنصرية وقومية وطبقية، حرصوا على نشرها، وتلويث الأجواء الإسلامية الصافية بسمومها، ويستطيع من يدرس ما تسرب إلى البلاد المسلمة من اتجاهات الفكر الغربى - من خلال القرنين التاسع عشر، والعشرين للميلاد - بتأثير الغزو الاحتلالى الصليبى الوثنى للعالم الإسلامى، ومحاولة احتوائه فكرياً وثقافيا وسياسياً واجتماعياً: أن يجد مصداق هذا التنكر، والوقوع فى شرك الاتجاهات الاحتلالية الكافرة المعادية فى نماذج من الأقوال والآراء والدعوات والشعارات التى ظهرت فى كل من: تركيا وألبانيا ومصر، وبلاد الشام، وفى الهند، وأندونيسيا، وغيرها من البلاد الإسلامية[3].

ومما يذكى قلب كل مسلم تقرحت كبده، واحترقت جذوة الإيمان فى صدره: أن حزب الاتحاد والترقى فى تركيا، والذى اعتنق الدعوة إلى القومية التركية، وعمل

---

(١) أحمد بشير: «الغزو الفكرى»، ص: ٤٦٦.

(٢) الأستاذ عمر عودة الخطيب: «نظرات إسلامية فى مشكلة التميز العنصرى»، ص: ٩٨، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٣) المصدر السابق.

على ترويجها، وصولاً إلى الفكرة العلمانية، عمل على عزل خليفة المسلمين السلطان عبدالحميد، ذلك الخليفة الذى سجل له التاريخ موقفاً بطولياً رائعاً، لا يمكن أن ينسى أبد الدهر، إذ فيه تجلت الغيرة على الإسلام ومصلحة البلاد الإسلامية، هذا الموقف هو: رفضه أن يعطى فلسطين الكئيبة المغتصبة وطناً لليهود - على الرغم من الإغراءات المادية الكبيرة - قائلاً: الأصبع الذى يوقع للموافقة على إعطاء شبر من أرض المسلمين لليهود أقطعه. ولم يكتف هذا الخليفة العظيم بهذا فحسب، بل وبصق فى وجه زعيمهم «قرصو»، والذى جاء لمفاوضته[1].

ومن المعلوم أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

الأول: لأنها تفرق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمى عن أخيه العربى، بل تفرق بين العرب أنفسهم، وتقسمهم أحزاباً، فهى بذلك تخالف مقاصد الإسلام الذى يدعو إلى الاجتماع والوئام، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2].

والثانى: لأنها أمر الجاهلية، فهى تدعو إلى غير الإسلام. وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن الكريم من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من الجاهلية، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مستشهداً بقول الرسول ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». والنصوص فى ذلك كثيرة. ولا ريب أن القومية تدعو إلى البغى والفخر، وهى فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها.

والثالث: لأنها تؤدى إلى موالاة الغرب وملاحدتهم من أبناء المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم،

---

(١) حسن أحمد أمين: «حول تطبيق الشريعة الإسلامية»، ص: ٢٥٩، ط: الثانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، سنة: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

وفى ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة الدال على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم، وتحريم موالاتهم، واتخاذهم بطانة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

والقوميون يدعون إلى التكتل حول القومية، فيوالون من أجل ذلك كل عربى من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية، وكل قومية غير القومية العربية كذلك تضم غير المسلمين مع المسلمين.

والرابع: لأن الدعوة للقومية تفضى بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن الكريم؛ لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن الكريم، فيوجب هذا لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف القرآن الكريم، حتى يستوى مجتمع القومية فى تلك الأحكام[2].

فأنت ترى من كل هذا: أن مبدأ القومية مبدأ خطير، لا ينتج إلا الشرور والآثام والحروب والتخاصم والتنافس والتزاحم[3]. والقوميون سواء شعروا أو لم يشعروا إنما يجرون قومهم إلى صورة لا يعبأ بها ولا يقام لها وزن[4]. وهم مغرمون أيما إغراء بتأكيد الروابط الأخوية مع القادة الاشتراكيين، وأنصار الحرية والسلام الذين قاموا إلى ركبهم فى دماء الألوف من أبناء الأمة المسلمة[5] إذ أوجدوا التنافر والتفاخر بين الشعب الواحد، والأمة الواحدة، بينما الإسلام هوية جماعية للشعوب وللقوميات، وللأمة، تمكنها من صد تغلغل الأفكار والاتجاهات الغربية أو الشرقية الحاقدة.

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة فى نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفى عدد محدود من أبناء المسلمين، الذين تأثروا بفكرتها.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥١.

(٢) الشيخ عبدالعزيز بن باز: «نقد القومية العربية»، ص: ١٣-٥١، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، سنة: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، بتصرف واختصار شديد.

(٣) محمد العزالى: «حقيقة القومية العربية»، ص: ٢٠٠، ط: دار العروبة ببيروت، سنة: ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

(٤) د. صالح بن عبدالله العبود: «فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام»، ص: ٣١٠، ط: الأولى، دار طيبة بالرياض.

(٥) محمد مصطفى رمضان: «الشعوبية الجديدة»، ص: ٩٠، ط: الأولى، ببيروت، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

حركة التغريب

أولا: التعريف:

لجأ أعداء الإسلام إلى طرق عدة، لهدم الإسلام، وإعاقة انتشاره، وإخراج أبنائه من هديه، وكان من أقوى وسائلهم تأثيراً، وأشدها إثماراً ما يسمى: بحركة التغريب.

والتغريب تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمى إلى: صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربى ليكونوا أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية[1].

ثانيا: الأهداف:

سعى أعداء الإسلام فى هذه الحركة، وهدفهم الرئيسى، هو إعاقة انتشار الإسلام، وإيقاف حركته؛ بل وقتله فى أرضه.

وما قلناه - آنفاً - فيه شىء من الإجمال؛ إذ أن حركة التغريب قد هدفت إلى هدفين رئيسيين هما:

١ - تشكيك المسلمين فى دينهم، الذى اكتشف رواد هذه الحركة: أنه أكبر عقبة فى طريق سيطرتهم على البلاد؛ ولتحقيق ذلك قام الغرب بحملة كبرى لغسل الدماغ الإسلامى، وكسب المريدين والأتباع من أهل البلاد[2].

٢ - إيهام المسلمين أن الحضارة الغربية حضارة عالمية، وأنها ثمرة تجارب

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامى: «الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة»، ص: ١٤٥.
- محمد المبارك: «الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية»، ص: ١٠٢، ط: الأولى، دار الفكر العربى، بيروت، سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.
- أنور الجندى: «تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة»، ص: ٢٠، ط: دار الاعتصام بالقاهرة، سنة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢) أنور الجندى: «عقبات فى طريق النهضة»، ص: ٢٠، ط: دار الاعتصام.

الإنسانية، وعلى هذا فلا مناص لمن أراد التقدم أن يتبنى مفاهيمها، ويقتبس نظمها؛ وأن يربط مصيره بمصيرها[1].

وقد صدرت منهم عبارات كثيرة، تصور هذين الهدفين تصويراً دقيقاً من ذلك: ما قاله المنصر «وليم جيفورد بالكراف»: «متى توارى القرآن من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية، بعيداً عن محمد وكتابه»[2].

لقد جمع هذا الخبيث الماكر فى كلمة «القرآن» كل ما يمس حياة المسلمين؛ لأنه هو مصدر حياتهم، ومورد بقائهم، ومتى سلب من أعمالهم ضاعوا وتاهوا، وتخبطوا فى كل معترك، حتى يقعوا فى الهاوية.

ثالثا: أساليب التغريب:

استخدمت حركة التغريب وسائل كثيرة وطرقاً متعددة، متمايزة فى التأثير، متفاوتة فى القبول، منها: المباشر، ومنها: غير المباشر، ومنها: المادى، ومنها: المعنوى، ومنها: الأجنبى، ومنها: المحلى[3].

وقد اتخذت خطط التغريب أساليب منظمة، يراعى فيها: طول زمن التنفيذ، والتخفى والتستر، حتى لا تنتبه الأمة المسلمة إلى هذه المخططات الغادرة؛ بل تظل غافلة عنها حتى تتحكم، ويصعب التخلص منها[4].

ومن أكثر الأساليب المتخذة، وأشدها خطراً: استخدام أبواق من أبناء الأمة الإسلامية، تنفخ فيها ما تريد. هذا ولا ريب أسلوب شديد التأثير، قوى الفاعلية، فالأمة الإسلامية، ستنكر أى صوت من غير دينها وجنسها، وتبقى أمامه مسددة الآذان، غير آبهة بما يقول.. أما إذا كان صاحب الصوت من جنسها، ومن دينها - كما يزعم - فسيكون له نصيب من القبول[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جلال العالم: «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله»، ص: ١٢٤، ط: دار الاعتصام، بالقاهرة، سنة: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٣) د. حسان محمد حسان: «وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الإسلامى»، ص: ٦٤.

(٤) محمد محمود الصواف: «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام»، ص: ١٧.

(٥) د. على محمد جريشة: «أساليب الغزو الفكرى»، ص: ٥٨.

- د. جلال يحيى: «المجمل فى تاريخ مصر الحديثة»، ص: ١٨٧، ط: الثانية، المطبعة المصرية، سنة: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. الناشر: المكتب الجامعى الحديث.

لهذا زرعت حركة التغريب بين المسلمين، نبات سوء، ودعاء شر، ظلت تسقيهم من مائها، وتسكب فى عقولهم من لوثتها، حتى صاروا تلاميذ نجباء لهم، وأبواقاً تحسن الصفير بما يملى عليها[1].

ومن الأساليب الخبيثة التى استخدمت التغريب: أسلوب الإقناع القائم على التشكيك، إذ يقومون بتشكيك أبناء هذه الأمة فى تعاليم ومبادىء دينها، ومدى توافقها مع العصر، ذى التطور والرقى، حتى إذا تم ذلك استعمل أسلوب الإقناع بأخذ البديل من الحضارة الغربية[2].

وقد نجح هذا الأسلوب نجاحاً باهراً، فأخذ بحضارة الزيف والكفر، وتركت الحضارة التى ارتقت بالإنسان، والأمثلة على هذا كثيرة جداً، فمنها مثلاً: الدعوة إلى تحرير المرأة؛ إذ بدأوا بالتشكيك فى إنصاف الإسلام للمرأة، فقد ظلمها، وضيّق عليها، وجعلها بمنزلة المتاع الساقط، أما الحضارة الغربية: فقد فتحت لها باب الحياة، وجعلتها إنساناً متكامل الحقوق، فخذوا أسلوب هذه الحضارة، وحرروا المرأة[3]!!!.

رابعا: مجالات التغريب:

رأى قادة حركة التغريب أن التغريب لن يكون ذا ثمرة، إلا إذا تناول مجالات معينة تتسم بالحساسية الشديدة، والأهمية العظمى، والقرب من الفكر والميدان العام؛ لهذا كانت المجالات التى تناولها التغريب مجالات حيوية، تمس المجتمع، وتعالج الفكر، الذى هو شريان الأمة النابض بحياتها.

وفيما يأتى تناول لأهم المجالات التى كانت ميداناً لتغريب الأمة المسلمة، وأثر ذلك فى حياة الأمة:

أولا: التعليم:

التعليم من أكبر المجالات التى نالت نصيباً كبيراً من حركة التغريب، وقد استهدف تغريب التعليم عدداً من الأهداف، من أهمها:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد محمود الصواف: «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام»، ص: ١٢٤-١٢٥.

(٣) د. على محمد جريشة: «أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى»، ص: ٥٥-٥٨.

١ - القضاء على الذاتية الإسلامية المتسمة بأخلاقها ومبادئها وتعاليمها السماوية، المرتبطة بالقرآن الكريم، وبالنسبة المطهرة.

٢ - القضاء على الفصاحة العربية، التى أوجدتها منابع البلاغة العربية، المتمثلة فى القرآن الكريم، إذا استطاعت وسائل التعليم الحديثة ومناهجه أن تبتر الصلة بين الشباب المسلم وتراثه العريق.

٣ - القضاء على الإحساس بعظمة العطاء الذى قدمته الأمة المسلمة للبشرية، إذ قدمت لها: منهاج الحضارة الذى حرر الإنسان من عبودية الإنسان، وحرر العقل البشرى من عبودية الوثنية والخرافة.

٤ - القضاء على تمثل الدور التاريخى الذى قام به الإسلام، حين أخرج هذا العالم من ظلمات الوثنية والرهبانية إلى مفهوم الحرية والكرامة والعمل والسعى فى هذه الأرض[١].

ويذكر رجال التربية: أن من أبرز ثمرات تغريب التعليم وأكثرها إفساداً: الاختلاط بين البنات والبنين، الذى يعد خروجاً عن منهاج الإسلام[٢].

ومن ثمراته كذلك: تحول ولاء معظم المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية، فأخذوا بها، وهى: تنادى بهدم الإسلام، دينهم ومعتقدهم[٣].

ومن ثمراته كذلك: عدم الاهتمام بمواد الشريعة الإسلامية وإعلاء شأن المواد المدنية الأخرى، فينشأ المتعلم غير مهتم ولا عالم بدينه[٤].

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية، وآداب سلوكية وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد، هدف ضخم من أهداف التغريب، عملوا على تدميرها وضربها بمختلف الموجات المسمومة، وطرح المجتمع المسلم فى المفاسد التى تحطم أفراده[٥].

---

(١) أنور الجندى: «عقبات فى طريق النهضة»، ص: ١٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ١١٩.

(٤) أنور الجندى: «عقبات فى طريق النهضة»، ص: ٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٢١.

وكان تغريب المرأة له الأولوية والأهمية الكبرى، لأن إفساد المرأة إسراع بإفساد المجتمع كله[١].

ومن مظاهر التغريب فى الحياة الاجتماعية كذلك: الاهتمام بالاحتفال بأعياد مصطنعة، كعيد الأم، وعيد العمال، وعيد الطفولة، وعيد رأس السنة الميلادية[٢]، إلى غير ذلك من أعياد اخترعها سماسرة الفكر الإلحادى الصليبى[٣].

ومن تلك المظاهر - أيضاً - الاهتمام بالألعاب الرياضية أكثر من أى شىء آخر، ولا شك فى أن الألعاب الرياضية ظاهرة جسمانية ونفسية واجتماعية وتربوية، لا تعارض بينها وبين الشرع، إلا أن إساءة استخدامها والتعصب لأجلها، واستهلاك طاقة الشباب فى متابعتها، يفقد الشباب كثيراً من أمور حياتهم[٤].

ولا شك فى أن الرياضة بعامة، وكرة القدم بخاصة، باتت وسيلة يستغلها أعداء الأمة المسلمة لإلهاء الشباب والزج بالأجيال الناشئة فى دوامة الجهل، والقدوة السيئة[٥].

أما الحديث عن الملاهى والمراقص، وما يدور على شواطىء البحار «المصايف»، فهى محاولة خبيثة لطبع المجتمع المسلم بطابع المجتمع الغربى الذى لا يقيم وزناً للفضائل، ولا يحترم الآداب[٦].

ثالثا: الاقتصاد:

لقد امتدت خطوات تدمير المجتمع المسلم إلى عدد من الميادين، منها: مجال الاقتصاد، الذى هو من أهم جوانب الحياة تأثيراً فى المجتمع[٧].

---

(١) د. على عبدالحليم محمود« الغزو الفكرى»، ص: ١٢٢.

(٢) موعده: حسب التقويم الجريجورى، اليوم الأول من شهر يناير وهو أول السنة الميلادية. ولم يكن كذلك قبل سنة ١١٦٥هـ-١٧٥٢م، فقد كانت السنة تبدأ فى: ٢٥ من مارس فى انجلترا وأمريكا، ولكن ذلك تغير فى سنة: ١١٦٥هـ-١٧٥٢م، ويحتفل النصارى بهذا العيد، ويقضونه فى اللهو والمرح.
- د. إبراهيم عبده: «الموسوعة الذهبية»، ج:٣، ص: ٤٧٥.
- محمد شفيق غربال: «الموسوعة العربية الميسرة»، ج:٢، ص: ٨٥٢.

(٣) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٢٥.

(٤) د. حسان محمد حسان: «وسائل مقاومة الغزو الفكرى»، ص: ٧٦.

(٥) نبيه عبد ربه: «نحن والرياضة»، ص: ٤٦-٤٧، مقال بمجلة (المجتمع) العدد: ٧٣٠، الصادر يوم الثلاثاء ٤ من ذى الحجة، سنة ١٤٠٥هـ-٣٠ أغسطس، سنة ١٩٨٥م، السنة السادسة عشرة.

(٦) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٢٧.

(٧) أنور الجندى: «عقبات فى طريق النهضة»، ص: ٢٥١.

ولعل أخطر ما فى الاقتصاد السائد الآن فى أكثر الأقطار الإسلامية. النظام الربوى، الذى زينته الحضارة الغربية، فصار الربا بضاعة رابحة يتاجرون فيها[1].

وما المصارف ونظم تعاملها، من حيث الربويات والفوائد والعمولات والزيادات، وغيرها، إلا أنظمة قصد منها: تحدى النظم الإسلامية فى التعامل بالمال، واستغلال حاجة الناس دون رحمة أو رعاية، أو خوف من الله[2].

رابعا: القوانين والأنظمة:

فقد حاول الاحتلال الصليبى الوثنى عندما وضع أقدامه على أكثر أراضى العالم الإسلامى: أن تصبح الأنظمة والقوانين التى تحكم بين الناس قوانين وأنظمة غربية مستوردة.. أما الشريعة الإسلامية: فتقصى وتبعد، ويعمل مكانها بالقوانين الوضعية[3].

ويذكر أحد رجال القانون: أن التقنينات هذه، استوعبت مختلف فروع القانون، فقد صدرت من سنة: ١٢٩٣هـ-١٨٧٦م، وسنة: ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م، ستة تقنينات:

- القانون التجارى.
- القانون المدنى.
- قانون التجارة البحرية.
- قانون المرافعات المدنية والتجارية.
- قانون العقوبات.
- قانون تحقيق الجنايات.

وبذلك انقطعت الصلة فى الجملة بين الشريعة الإسلامية، والقوانين المطبقة فى مسائل الإجرام وعقوباتها، وفى مسائل الملكية والمعاملات المالية والتجارية[4].

---

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٢٧.

(٣) د. عمر سليمان الأشقر: «الشريعة الإلهية، لا القوانين الجاهلية»، ص: ٦٧-٧٠.

(٤) د. شفيق شحاته: «الاتجاهات التشريعية فى قوانين البلاد العربية»، ص: ٣٧، ط: المطبعة العالمية، بالقاهرة، سنة: ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

وليس الهدف من تغريب الحكم والسياسة، إلا عزل الإسلام عن قيادته للحياة، وتعطيل الشريعة الإسلامية التى ارتضاها الله نظاماً ومنهاجاً متكاملاً تقوم عليه حياة الطمأنينة[١].

خامسا: الإعلام:

الإعلام هو التعريف بقضايا العصر، وبمشكلاته، وبكيفية علاجها فى ضوء النظريات والمبادىء التى اعتمدت لدى كل نظام[٢].

وقد استغلت حركة التغريب هذه الوسيلة التى تخاطب الملايين مباشرة فحركوها وفق ما يريدون من تخريب وإفساد[٣].

ومن أبرز وسائل الإعلام. الصحافة. التى كتبت بتلك الأيدى الحاقدة، فنشرت كل ما يسىء للإسلام، ويخدم أغراضهم، وحققوا هدفهم وهو: إشاعة التفاهة، وتزييف الحقائق، وحبس الناس فى مجال البلاهة[٤].

ومن الملاحظ على سائر وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى كله: أنها لا تعمل إلا فى خط واحد، ونغمة يكمل بعضها بعضا، حتى تبنى وتشك كما تشاء فى وحدة متكاملة، بحيث تضمن فى النهاية تشكيل قيادات وأفراد وغزو عقول وشخصيات، واحتلال أفكار ومفاهيم، ودفن تشريعات وقيادات، وزرع تنظيمات وسلوكيات، وهى لا تقتصر على مؤسسة واحدة؛ بل تمتد إلى سائر المؤسسات، ولا تكتف ببعد واحد؛ بل تتناول سائر الأبعاد. وبذلك كله: تحاول غزو المسلم داخل بيته وخارجه وفى تربيته واقتصاده، وفى إدارته وسياسته، وفى صغره وكبره، وفى رجاله ونسائه، وفى ريفه وحضره[٥].

---

(١) د. عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٢٨.

(٢) د. عمارة نجيب: «الإعلام فى ضوء الإسلام»، ص: ١٦، ط: مكتبة المعارف بالرياض، سنة: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٣) المصدر السابق، ص: ١٧.

(٤) أنور الجندى: «عقبات فى طريق النهضة»، ص: ١٧٥-١٧٦.

(٥) د. حسان محمد حسان: «وسائل مقاومة الغزو الفكرى»، ص: ٧٧.

وتأتى بعد الصحافة: الإذاعة والتليفزيون، وتأتى خطورة الإذاعة والتليفزيون فى أنهما يدخلان كل بيت، ويغزوان مختلف المستويات، ويؤثران فى كثير من المواقف.

والتليفزيون بما يقدم من برامج تافهة، أصبح أداة هدم فى يد دعاة التغريب فأنت تدرك أن الغرب الحاقد، أو الشرق الملحد، حرص على نشر العلمانية، وتغريب البلاد الإسلامية بأكثر من سبيل، وحين صنع الغرب أبناء من الوطن يتولون السلطة، حرص على زيادة نشر التغريب بكل الوسائل.

الوجـــودية

ظهرت كلمة «وجودية» بالمعنى الفلسفى الذى تستخدم به اليوم لأول مرة فيما كتبه كير كجارد[١]، وتعنى: موت فلسفة الوجود؛ لأنها تغلق علينا أنفسنا، وتجعلنا ندمر ذاتنا حين نجد أنفسنا نسير فى ممرات مغلقة، وطرق مسدودة؛ لأنها تهتم بمشاكل تتصل بالتأصل الفردى، دون أن يتكون من ورائها موضوعات مثمرة فى ميدان الفكر الإنسانى، لأنها تقوم على التأمل الصرف المرتبط بالفكر الشخصى، إذ ترتبط بقضايا القلق والخوف واليأس[٢].

وجاء فى الموسوعة الميسرة: «أن الوجودية تيار فلسفى، يعلى قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وتجربة وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه. وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم»[٣].

ويصور الوجودية «ريجيس جوليفييه» بأنها: اعتقاد أن أساس وجود الإنسان هو ما يفعله، بمعنى: أن أفعاله هى التى تحدد وجوده. كما قال سارتر: «أنا موجود، فأنا أفكر»، على عكس ما قال ديكارت: «أنا أفكر، فأنا موجود»[٤].

يقول سارتر: «أما الوجودية الملحدة التى أمثلها بنفسى، فهى أكثر إنسجاماً، وأكثر منطقية، فهى تعتقد أنه إذا جاز أن نعتقد أن الله ليس موجوداً، فإنه من

---

(١) هو: سورن كير كجارد، فيلسوف دنماركى، ولد سنة: ١٢٢٧هـ-١٨١٣م. كتب بحوثاً دينية خرج بها عن المألوف، فاختلف مع الكنيسة، إذ كان يعتقد أنه ينبغى للإنسان أن يلتمس المعرفة الحقة داخل نفسه، وأن المثقف إنما يعانى بسبب التعارض بين الوجود الفردى المؤقت من جهة، والحقيقة الأبدية من جهة أخرى، والدين أمر شخصى صرف ينزع إلي التصوف، وهو من وراء المذهب الوجودى.
- ومن أشهر كتبه: «إما أو»، و«مراحل طريق الحياة»، مات سنة ١٢٧١هـ-١٨٥٥م.
- محمد شفيق غربال: «الموسوعة العربية الميسرة»، ج: ٢، ص: ١٥٢٦.

(٢) د. محمد إبراهيم الفيومى: «الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى»، ص: ٥١، ط: الهيئة العامة لشئون المصابع الأميرية. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة، ص: ٥٤٣.

(٤) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج:٢، ص: ٦٠.

المتحتم أن نعتقد - على الأقل - بوجود كائن موجود، قبل أن يعرف فى ضمن أى فكرة مجردة، أو وهم أى خالق، وهذا الكائن هو: الإنسان[1].

وخلاصة مذهب سارتر: «أن الوجود متقدم على الماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية فى الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذى يلائمه»[2].

إن هذا المذهب ليس جديداً، فقد اهتم به كثير من الفلاسفة والأدباء والمتصوفين وغيرهم من قديم الزمان، وإن كان أبرزهم حديثاً هو كير كجارد الدانمركى، المتوفى سنة ١٢٧١هـ-١٨٥٥م، وآخرهم: جان بول سارتر الفرنسى، المولود سنة: ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م، والمتوفى فى يوم الثلاثاء ٣٠ من شهر جمادى الأولى، سنة ١٤٠٠هـ- الموافق ١٥ من أبريل، سنة: ١٩٨٠م[3].

فالوجودية إذن: تقدس الفرد، وتقدس حريته، ويفهم منها: أن الفرد فى هذا الوجود هو كل شىء، هو الإله، ولا إله غيره. وأى قيد يحد من حرية الإنسان غير إرادته هو: مروق واعتداء على حق الإنسان. ولو كان هذا القيد هو الدين أو التقاليد، أو القيم الأخلاقية المتوارثة. الإنسان ولا شىء غيره، له تمام الحرية[4].

والوجوديون - على اختلاف ما بينهم - يتفقون جميعاً على مبدأ واحد. هو: تقديس حق الفرد وحمايته من طغيان الجماعة عليه بعد ظهور الديمقراطية الحديثة، ثم ظهور الشيوعية والفاشية فى العهد الأخير، وهم يبنون مبدأهم هذا

---

(١) جان بول سارتر: «الوجودية مذهب إنسانى»، ص: ٣٠-٣١، ترجمة: كمال يوسف الحاج. ط: دار مكتبة الحياة، بتونس.

(٢) د. جميل صليبيا: «المعجم الفلسفى»، ج: ٢، ص: ٥٦٥، ط: دار الكتاب اللبنانى، سنة: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٣) مشيخة الأزهر: «بيان للناس»، ج:٢، ص: ٦٠.

(٤) نجيب الكيلانى: «الإسلامية والقوى المضادة»، ص:٩٨، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- أبو الأعلى المودودى: «الإسلام والجاهلية»، ص: ٢٤، ط: مؤسسة الرسالة، ببيروت، سنة: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- أ.د. محمد العربى بوعزيزى: «الوجودية الإلحادية وخطرها على الإنسانية»، ص: ٨٢، مقال بمجلة (الهداية). العدد: الرابع، السنة: الحادية عشرة، جمادى الآخرة، ورجب سنة: ١٤٠٤هـ- مارس وأبريل سنة: ١٩٨٤، تونس.

على اعتبارهم: أن الفرد هو الوجود الحقيقى فى الخارج، وأن النوع الإنسانى لا وجود له إلا فى عالم التصور والفروض الذهنية[1].

وتقديس حق الفرد هو: الجانب السليم فى الوجودية... أما السخف والمرض فإنما يظهران عند الانتقال من تقرير وجود إلى النتائج التى تترتب على هذا فى اعتقادهم. ثم يبلغ السخف غايته حين يخلطون بين وجود الفرد وغاية الوجود كله.

ومنهم من يقول: إن الوجود كله عبث لا معنى له على الإطلاق، ولا غاية من ورائه لمخلوق ولا لخالق. ويظهر السخف والمرض حين يقولون: إن الفرد هو الموجود الحقيقى، ويرتبون على ذلك أنه: لا معنى إذن للقول بالطبيعة البشرية، والقول بالأخلاق، التى تفرضها هذه الطبيعة، أو بالأقدار التى رسمت لها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود[2].

ويتحدث العقاد عن الوجودية فى روسيا، والوجودية فى فرنسا، فيقول: إنما وجدت فى فرنسا مدرسة الوجودية الإباحية، إلى جانب الوجودية الأخلاقية، لأسباب لا مشابهة فيها بين النشأة الوجودية الروسية، ونشأة الوجودية الفرنسية. وجدت تلك الدراسة الإباحية، لأسباب يتعلق بعضها بفرنسا، ويتعلق بعضها الآخر بسارتر إمام تلك المدرسة.

أما الأسباب التى تتعلق بفرنسا، فهى: الولع بالزى الموسمى الذى يتخذ صورة النحلة الاجتماعية. وأما الأسباب التى تتعلق بسارتر، فهى اختلال تكوينه، واتصال نسبه بالصهيونية، ففى تكوينه دلائل اختلال تبدو أعراضها فى شىء كالشلل يعترى شقه الأيمن، وهو فى نسبه نصف يهودى أو أكثر من نصف يهودى، لأنه أمه يهودية، ومعظم أيامه يقضيها بين اليهود، وله عناية شديدة بالدفاع عن السامية، والحمل على حركة المقاومة لها. ذلك هو فحوى الفارق بين وجودية تخرج إلى التصوف، كما خرج «برديف» ووجودية تخرج إلى الإباحية

(١) د. على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٦٠.

(٢) عباس محمود العقاد: «بين الكتب والناس»، ص: ٢٦، ط: بيروت، سنة: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

والفوضى كما خرج سارتر. ولن تفهم المدارس الحديثة فى أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها، وهى: أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كاملة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان عليه[1].

فاليهودى كارل ماركس وراء الشيوعية، التى تهدم قواعد الأخلاق والآداب، وتقوض دعائم الأوطان والأديان.

واليهودى دور كايم[2] وراء علم الاجتماع، الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب.

واليهودى أو نصف اليهودى سارتر وراء الوجودية، التى نشأت معززة كرامة الفرد، فجنح بها إلى إباحة حيوانية تصيب الفرد والجماعة معاً بآفات القنوط والضياع والانحلال.

والوجودية بعد ذلك: محاولة لتفسير الإنسان بالاستقلال عن المقولات العلمية؛ بل والاستقلال عن المقولات الدينية الخاصة، أو بعبارة أخرى: فإنها تستبعد فى مذهبها الفكرى: وجود إله، وتعتمد على التفسير المادى للكون[3].

ويذكر العلماء: أن الذين درسوا تاريخ هؤلاء الوجوديين؛ تبين لهم أن ظروف حياتهم هى التى أملت عليهم هذا الاتجاه فى التفكير. فقد كان - كير كجارد - منطوياً على نفسه منعزلاً؛ ولذلك حلل الوجود البشرى تحليلاً يعيش فى جو الحصر النفسى، والتمزق الداخلى، والشعور بالخطيئة. وكذلك سارتر إذ اهتم اهتماماً كبيراً باعتباره داخلاً فى نسيج الوجود. فالفرد عنده يعيش فى مواقف تتصف بالتمييع، ويحاول أن يتخطى حدود نفسه ويخدعها، ومن أجل أن وجوده مرتبط بوجود الآخرين، يرى: تصارع إرادتهم مع إرادته فى جو كله غثيان، والفرد يسعى جاهداً إلى تحقيق رغباته، لكن ذلك غير ممكن؛ لأن

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣١ بتصرف.

(٢) عباس محمود العقاد: «بين الكتب والناس»، ص: ٣١-٣٣، باختصار.

(٣) د. عبدالمعطى بيومى: «الله والفلسفة بين الفلسفة والدين»، ص: ٤١٦-٤١٧، بحث فى حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر، العدد: الرابع، سنة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

إمكاناته لا تسعفه[1]. لأن الوجودية فى جملتها نوعاً مفرطاً من الأنانية. . إنها عداء للمجتمع الذى تراه، عذاباً وحرباً على الفرد، وعداء للقانون، وعداء للدين الذى يفرض مثاليات - مهما كانت هذه المثاليات - على الإنسان الفرد، ولا يخفى ما تنطوى عليه هذه الدعوة من أضرار وخيمة:

أولاً: هى تعزل الفرد وتبالغ فى حريته وإرادته، حتى تكاد تلغى أى سلطان آخر على الفرد من دين، أو نظام، أو عادات، أو أعراف، أو تقاليد.

ثانياً: هى تهز أسس المجتمع، وتعرض أمنه للخطر، بنظرة الفرد للمجتمع نظرة عدائية، باعتباره عذاباً وجحيماً للآخرين.

ثالثاً: هى لا تحاول أن توفق بين نزعات الفرد والمجتمع، فللمجتمع حق على الأفراد، يهبونه عن طيب خاطر من حرياتهم وآماليهم وأطماعهم الفردية، حتى تتسق الحياة، وينتظم دولاب العمل، وهم لا يؤمنون بذلك، وإذا حاولوا أن يطمسوا معالم هذا الزعم الأنانى، فإن ذلك يكون فى عبارات ملتوية، وتفسيرات عاجزة، لا تنهض مع أسسهم الفكرية.

رابعاً: وكان من جراء دعوتهم إلى الحرية المطلقة نشوء عديد من الانحرافات السلوكية، والانحلال الأخلاقى، وتحوير معانى الفلسفة الوجودية إلى ضرب من الإلحاد والضياع والفوضى والتحلل، وإطلاق الغرائز البهيمية، كالغيلان المسعورة[2].

ويمكن أن يحدد الإنسان أهم الصفات المميزة للوجوديين فيما يأتى:

- الإيمان بأن التجربة الفردية هى: أساس المعرفة، وليس العقل أو غيره موصلاً إلى معرفة الحقيقة.

- الإغراق فى تقديس الحياة الشخصية فكراً وسلوكاً، وعدم الاهتمام بالآخرين بقدر الاهتمام بالنفس؛ ولذلك كثر فيهم الشذوذ والتطرف والآراء الغربية.

---

(١) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج:٢، ص: ٦١.

(٢) نجيب الكيلانى: «الإسلام والقوى المضادة»، ص: ٩٩-١٠٠، بتصرف واختصار.

- التشاؤم والقلق والتمزق، فالوجودى يحاول أن يخلع نفسه من نفسه، ليعيش نفساً أخرى[1].

ويمكن للباحث أن يعرض لبعض الأفكار والمعتقدات، التى جاء بها الوجوديون، والتى تمثل معوقاً خطيراً أمام انتشار الإسلام، ومعول هدم لليقظة والصحوة والمسيرة الإسلامية؛ لتتبين الأخطار التى تحدق بالإنسانية من جراء هذه الفلسفة المارقة.

- إنهم يكفرون بالله - سبحانه وتعالى - ورسله - عليهم السلام - وكتبه، وبكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، ويعدونها معوقات أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ. ووصلوا إلى ما يتبع ذلك وينجم عنه من نتائج مدمرة.

- يؤمنون إيماناً مطلقاً بالوجود الإنسانى، ويتخذونه منطلقاً لكل فكرة.

- يعتقدون بأن الإنسان أقدم شىء فى الوجود، وما قبله كان عدماً، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

- يعتقدون بأن الأديان والنظريات الفلسفية التى سادت خلال القرون الوسطى والحديثة، لم تحل مشكلة الإنسان.

- يقولون: إن على الإنسان أن يطرح الماضى، وينكر كل القيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.

- لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة، توجه سلوك الناس وتضبطه؛ إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين[2].

أن الوجودية - كما ترى - : تجرد الإنسان من كل ثقة فى الحياة، وتهدم كل أساس ينطلق منه العمل، وأن للوجوديين تعبيرات غريبة عن التجربة الفردية التى يعيشونها[3].

---

(١) مشيخة الأزهر، بيان للناس، ج:٢، ص: ٦١.
(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة، ص: ٥٤٣.
(٣) مشيخة الأزهر، بيان للناس، جـ:٢، ص: ٦٢.

وإن الناظر فى هذا الفكر يراه مخالفاً للإسلام؛ وذلك لما يأتى:

١ - أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله - سبحانه وتعالى - وبالحياة الآخرة، فالوجود الزمنى فى الدنيا معه وجود آخر دائم بعد الموت، فالعدم ليس نهاية الوجود كله؛ بل إن الحياة الآخرة خير لمن اتقى واستقام أمره.

٢ - ليست وسائل المعرفة الصحيحة قاصرة على إحساس الفرد نفسه بما يعانيه من تجربة، فهناك العقل، وميدان التفكير واسع غير محدد، وهناك الوحى المنزّل من عند الله - تعالى - على رسله - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - .

٣ - ليست الحرية الشخصية فى الإسلام أو فى أى دين آخر، بل فى أى تشريع أو عُرف حرية مطلقة بغير حدود. فهناك ضوابط موضوعة لاستقامة السلوك، وللمحافظة على حقوق الآخرين ضرورة أن الإنسان مدنى بطبعه، ولابد أن يعيش فى مجتمع له حقوق، ومعلوم أن الأهواء الشخصية مختلفة، وفى بعضها تضارب كبير. والإنسان كالحيوانات التى تسيرها غرائزها فى أكثر أحوالها.

٤ - الإسلام لا يرضى التشاؤم المطلق أو اليأس المقنط، بل فتح باب الأمل ودعا إلى النشاط والعمل ووعد، بالعفو عن المسىء، إذا أناب إليه، وباليسر والفرج لمن توكل عليه، وآمن برحمته وحكمته، وهو يباشر نشاطه المأمور به[1].

فالإسلام يؤمن بإرادة الإنسان السوى الحر، والإسلام لا يشعل حرباً بين الفرد والمجتمع، وإنما يعقد بينهما نوعاً من الوئام والمصالحة والتنسيق، فيعطى للفرد حقه ويطالبه بأداء واجبه، وللفرد ذاته وفرديته التى تكون لبنة سوية فى بناء المجتمع الشامخ، والمجتمع مجموعة الأفراد، فهما بهذا يكونان شيئاً واحداً كالجسد الواحد[2].

ولا شك أن من أخطر المعوقات فى سبيل تقدم الإسلام: أن تنتشر أفكار وفلسفات وأنماط سلوك وضعية هى نتاج عقول تخطىء وتصيب وهى نضج لمعاناة شخصية فى ظروف خاصة.

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) نجيب الكيلانى: «الإسلامية والقوى المضادة»، ص: ١٠٣-١٠٤.

ولا يخفى أن الوجودية مركز خطر من مراكز الغزو الفكرى للعالم الإسلامى تمد تيارات العداء للإسلام بكل المقومات التى تدفع نحو غايته[1].

لقد وجدت الوجودية من يروّج لها فى المحيط الإسلامى ويصبغها بصبغة خادعة، حتى تقبل فى الجو الإسلامى بإضفاء الشرعية العقدية عليها من الإسلام، وهى مذهب إلحادى ينكر الإلهية والأديان، ويحطم مناهج العقل ويرفض الإنسان، ويلحقه بأحط الموجودات وأحياناً يجعله أقل منها[2].

(١) د. عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى»، ص: ١٦٦.

(٢) د. مصطفى غلوش: «الوجودية فى الميزان»، ص: ٦٤-٦٥، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

أهداف الغزو الفكرى

سوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات، وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد، ومن ثم حفلت أسواقنا، بما هو أشد فتكاً من السم، وأعظم انتشاراً من الهواء. يتخلل كل خلية وينخر فى كل بناء. أفكار ترتدى أثواباً، أو تحمل شعارات، أو ترفع مشاعل. ليس الثوب فيها، أو الشعار أو المشعل، إلا قناعاً يستر الزيف الخطر[1].

إن هذا الغزو الفكرى الذى يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف فيما يهدف إلى:

١ - أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها.. تلك القوى التى تتمثل فى عدد محدود من الدول الكبيرة، التى تحمى بعضها بعضا، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح، التى تهم أى طرف من أطرافها.

٢ - أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصاً، والعالم النامى عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة، تبعية غير منظورة، وفى هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاءها فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال بينما هى ترسف فى قيود الذل والتبعية. وليس أضيع لمستقبل أمة من أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهى دائرة فى فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعنيه من تبعية.

٣ - أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص، وتأمل دقيق، مما يؤدى إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية فى أى قطر من أقطارها، وتبديد لمستقبلها فضلاً عما فى ذلك من صرف عن منهجها وكتابها، وسنة رسولها.. وما يترتب على هذا الصرف من ضياع. إذ لا يوجد مذهب

(١) انظر: الدكتور على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية»، ص: ٦٥.

سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى يغنى الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهى ونظامها الشامل المتكامل فى كل زمان ومكان.

٤ - أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم وتخرج بهم إلى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولاً ثم يلتبس الأمر عليهم بعد ذلك فيحسبون أنهم بذلك على الصواب ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب.

٥ - أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها.

٦ - أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية وما دام الإنسان لا يفكر إلا باللغة فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها.

٧ - أن تسود المغزوة أخلاق الأمة الغازية، وعاداتها وتقاليدها[١].

٨ - تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد وأنه لم يكن له الفضل على الحضارات التى جاءت بعده.

٩ - إحياء الجوانب الضعيفة فى التراث الإسلامى خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التى وقعت بين المسلمين أنفسهم والتركيز على دعوات الحركات الباطنية وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً وفلسفة عميقة[٢].

---

(١) انظر: الدكتور على عبدالحليم محمود: «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام»، ص: ٨-١٠ بتصرف.

(٢) إبراهيم النعمة: «المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى»، ص: ٣٠

١٠ - إضعاف مُثل الإسلام وقيمه العُليا من جانب وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.

١١ - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها.

١٢ - إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين فى مختلف أقطارها عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام. وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم[١].

١٣ - اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً.

١٤ -تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية المستمدة من الإيمان بالله ودفع القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس.

---

(١) أنور الجندى: «شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى»، ص: ١٨.